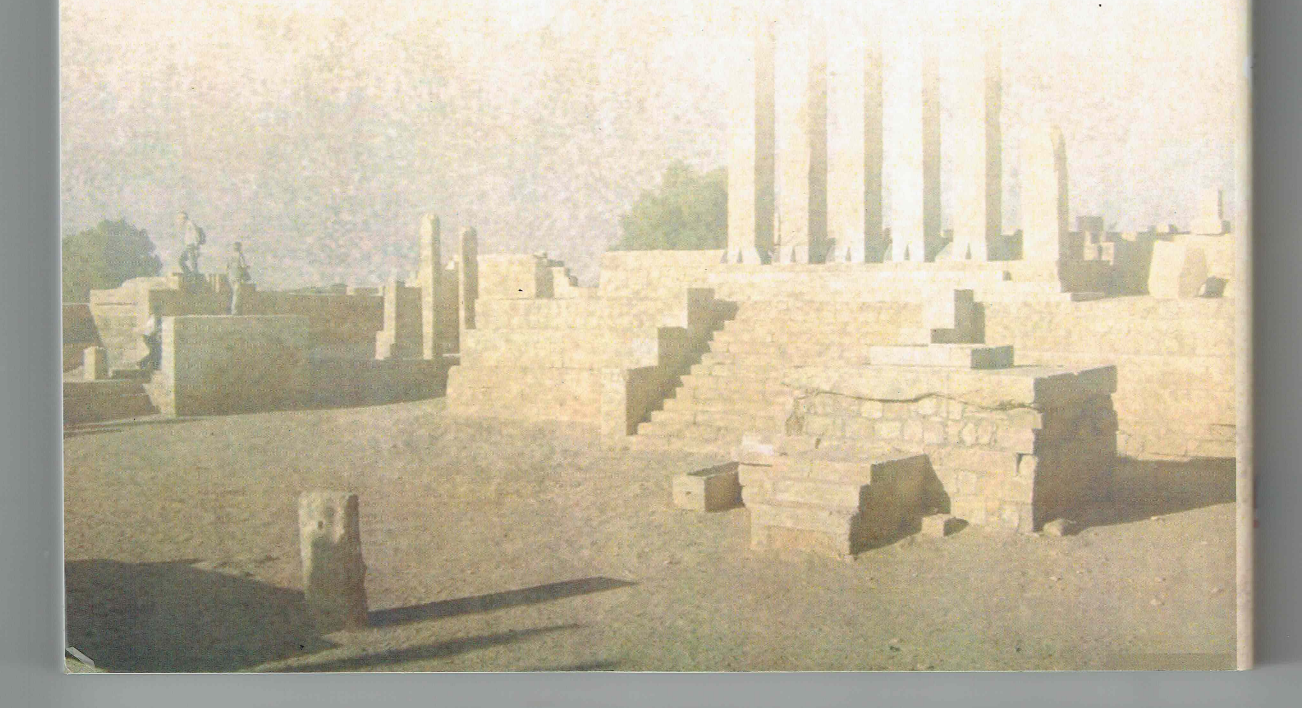
الحسين يختار

دراسات في

تاريخ العرب القديم

من القرآن الكريم



دراسات في تاريخ العرب القديم
من القرآن الكريم

الحسين يختار

المؤلف:

الحسين يختار

عنوان الكتاب:

دراسات في تاريخ العرب القديم من القرآن الكريم

الطبعة الأولى

الإيداع القانوني: أوت 2022

ردمك:



بوقادير مركز – ولاية الشلف

رقم الهاتف: 57 99 02774 / 93 21 84 0662

البريد الالكتروني: benhamda.print@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفان

أول من أرفع إليه شكري بعد الخالق البارئ جل علاه، أساتذتي الكرام بقسم العلوم الإسلامية بجامعة وهران 1، وأخص منهم السادة المحترمين أعضاء المجلس العلمي الموقر، على ما أولوني به من تشجيع على فكرة هذا البحث والتي كانت في الأصل مشروع مذكرة ماستر بعنوان: "منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث التاريخية المعهودة عند العرب "ثم تطورت إلى مشروع كتاب على الشكل الذي هو عليه الآن.

وخالص الشكر وعميق الامتنان أيضا، إلى كل من مد إلي يد العون و المساعدة من قريب أو من بعيد، بالتشجيع والتحفيز، أو الإعانة أو الكلمة الطيبة، وأعني في المقام أصحاب المكانة المخصوصة في قلوبنا السادة المحترمين : عميد كلية العلوم الإسلامية والإنسانية بجامعة وهران 1 البروفيسور القدير دحو فغرور، والسيد مدير الثقافة والفنون لولاية مستغانم الدكتور محمد مرواني ، والسادة إطارات وأساتذة معهدي سعيدة وغليزان لتكوين الإطارات الدينية، والسيد مدير متحف المجاهد بمستغانم الأستاذ بلال دقيوس، والصديق الغالي كريم حيمن إطار بولاية مستغانم ، والصديق الوفي الأستاذ نذير خواني وكل هؤلاء الأفاضل أدين لهم بالحسنات المشكورة في تشجيع كل المواهب التي يتفرسون فيها رؤى جديدة، من شأنها أن تخدم التراث العربي والإسلامي، و تسهم في إثراء الدراسات التاريخية للقرآن الكريم.

ولست أذيع سرا حينما أشهد أنني قد رأيت في كل هؤلاء، حرصا شديدا، وتشجيعا فريدا، لكل مسعى يهدف إلى خدمة تراث الأمة الأصيل، وعرفت فيهم روح الذود عن المعاني العميقة لكتاب الله العزيز الحكيم.

الإهداء

إلى روحِ والديَّ الكريمين رحمهما الله تعالى

إلى كل غيور على كتاب الله تعالى

تلاوة وتدبرا

إلى كل غيور على التراث النبيل

قبـــس

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

سورة يوسف أية رقم111

كلمة السيد / عميد كلية العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية.

بجامعة وهران1

للتاريخ فضل كبير في حياة الإنسان عامة وفي تربية النشء خاصة؛ حيث يرتبط كدرب من دروب المعرفة وكعلم من علوم الإنسان بجوانب عدة من حياة المجتمعات تضم في طياتها ما له علاقة بالعصبية كبيرها ' الدولة' وصغيرها ' القبيلة' والأخلاق والأذواق والثقافة والعمران ...بل وكذلك الدين وحتى العقيدة. كما أن هناك من التاريخ ما لا يمكن أصلا عزله عن العقيدة؛ ولهذا نجد أحد المؤرخين المسلمين الأوائل وهو الإمام السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي 831هـ-902 هـ الموافق ل 1428 -1497م والذي عاصر دولة المماليك بمصر) يؤلف كتابا كاملا، يرافع فيه عن فضائل التاريخ أسماه " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ".

والأمر كذلك فلا عجب أن نجد إقبال أصحاب الإختصاص على تدوين سير الأمم في أدق تفاصيلها ومنهم من يتجاوز البناء الحضاري للأمم و يغوص في استقراء الماضي للوقوف على النواميس الكامنة وراء الصيرورة التاريخية أو ما هو معروف بمصطلح السنن الكونية وبهذا يفتح باب البحث التاريخي على مصراعيه لفحص وتمحيص الكم الهائل من الروايات المتناقلة عبر الأجيال لمعرفة مدى تطابقها مع النص القرآني المتمثل في أخبار الأمم وسير الأفراد ومنهم

الأنبياء والرسل والملوك وحتى بعض عامة الناس الذين خلّد القرآن ذكرهم في بعض صوره الكريمة .

تلك إذن هي بعض الملامح العامة للدوافع الخاصة التي دفعت بالباحث المتمرس صاحب هذا المنتوج العلمي الأكاديمي، للخوض في السنن الكونية وما هو معلوم عن مسيرة البشرية من الروايات المتداولة للوقوف عند غثها وسمينا خدمة للتاريخ عامة والعقيدة على وجه الخصوص. وهو عمل شجعته لدراسته وها أنا أزكيه بعد إنجازه.

الأستاذ الدكتور: دحو فغرور

عميد كلية العلوم الإسلامية والإنسانية.

جامعة وهران 1

وهران في: 13 جوان 2022

المقدمـة

الحمد لله واهب النعم، الواحد الأحد، المتفرد بالجلال والإكرام، القائل في كتابه وعن كتابه الكريم: **"قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا"** سورة الكهف أية رقم 109.

لا يخفى على أحد أن الأبحاث المتعلقة بالقضايا التاريخية في القرآن الكريم قد تكتسي بالغ الأهمية، من حيث أنها تسلط الضوء على جوانب مهمة من حياة مجتمع الجزيرة العربية في القديم، وحياة الرسل الكرام ومواطن دعواتهم، سواء من أجابهم أو من عارضهم من القبائل المعاندة، بدءا من فترات الجاهلية الأولى إلى عصر البعثة النبوية المنير.

والذي ينبغي أن يوضع في الحسبان في بداية الأمر أن " ما يتسم به التاريخ العربي القديم العراقة وامتداد الجذور في تراب الزمن، وإذا كانت هذه الظاهرة تثير الشعور بالأصالة والاعتزاز، فإنها كانت في الوقت نفسه واحدا من أبرز الأسباب في اضطراب النظرة وتشعب الآراء حول الأصول الأولى لهذا التاريخ، حتى أصبح تاريخنا القديم في لوحته الحاضرة معرضا عجيبا للتخمينات، والاجتهادات والنظريات المتضاربة، والمتعسفة في كثير من الأحيان فبينما يتجه بعضها إلى البحث عن الحقيقة الموضوعية نجد الكثير منها يرمي إلى تشويه التاريخ

وصرفه عن مساره الصحيح " مقدمة الدكتور عمار حاتم على كتاب "بحثا عن فرعون العربي ودراسات أخرى" علي فهمي خشيم .

وفكرة الكتابة في هذا الموضوع طرأت على ذهني حينما كنت عاكفا على إعداد مذكرة ماستر في العلوم الإسلامية، والتي تمت مناقشتها بجامعة وهران1، قسم التفسير وعلوم القرآن، في شهر سبتمبر من سنة 2021 م، وقد حظيت بتقدير ممتاز من طرف السادة الأساتذة المحترمين أعضاء لجنة المناقشة، ثم ما لبثت الفكرة أن نضجت وتطورت وشعرت أن تدوينها عبر مشروع كتاب أضحى بالنسبة إليّ ضرورة ملحة.

ومما زاد من تحمسي للفكرة بصورة أكثر - رغم خطورة الموضوع حينما اطلعت على ما جادت به أقلام كوكبة من الباحثين المعاصرين، ممن أخذوا على عاتقهم أمانة التصدي للخرافات اليهودية والإستشراقية، وقدموا دراسات لاقت استحسانا كبيرا لدى العامة والمثقفين على السواء، لمطابقتها التراث العربي الأصيل، والتأويل اللغوي والمنطقي السليم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثم إن الروايات الكلاسيكية التي أضحت شائعة لدى الغالبية من الناس، لم تعد تشفي الغليل، كونها انطوت على تناقضات ظاهرة، لا يقبلها عقل ولا منطق وهي غير مناسبة جغرافيا وتاريخيا، سيما وقد تبين أن جل النقول فيها والأسس التي قامت عليها لا تستند في

الغالب إلا على أحد المستندين: نصوص توراتية قابلة للنقد، وأراء استشراقية لاهوتية ليست بريئة في الغالب، وكلاهما لا يعتبر كافيا في تأويل نصوص القرآن الكريم تأويلا موضوعيا نزيها.

يقول الدكتور فرج الله صالح ديب " إن التأريخ الذي كتب لنا من قبل الغرب والأبحاث الأثرية التي حققها، كان منطلقها التوراة المدونة في القرن السابع الميلادي"

ولابد من الإقرار والإعتراف، أن الإنقياد الأعمى لتلك التأويلات التوراتية والآراء الإستشراقية المشبوهة، التي تم إسقاطها على جغرافية الأنبياء، مع المحاكاة الجذرية في النقل – على طريقة نسخ لصق – دون ترو ولا تقص للحقيقة، هو الذي قادنا إلى التصديق من أن إبراهيم خليل الله قد ترك زوجته سارة في فلسطين، ليقطع مسافة 1200 كلم ماشيا، بعد أن تجاوز القرن من عمره، ثم يدع زوجته الثانية هاجر هناك، التي أبعدتها سارة بدواعي الغيرة — حسب الزعم اليهودي– إلى مكان قاحل ليس به زرع ولا عمران وليس معها إلا رضيعها إسماعيل، ثم يعود مرة أخرى ماشيا ليبني بيت الله، ويؤذن في الحج للبشرية قاطبة، سائلا المولى تعالى أن يقذف في قلوب الناس أجمعين محبة البيت العتيق، ثم يدع قبلة المسلمين البيت الذي بناه بأمر ربه، ويعود مرة ثالثة إلى زوجته سارة بفلسطين، ثم يدفن بعيدا عنه بمسافة تربو على الألف كلم ... مع أنه هو القائل لربه:

(رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) سورة البقرة الأية37 والبيت المحرم هو نفسه المعبر عنه في التوراة بالبيت المقدس.

وهو التقليد الذي تركنا نصدق أيضا أن إخوة يوسف عليه السلام قد تنقلوا بواسطة الجمال، من جوار نهر الأردن و مدن فلسطين إلى شمال جمهورية مصر العربية، ومدنها الساحلية عبر مسافة تتجاوز الألفين كلم ذهابا وإيابا، لأخذ مئونة توزع بالصاع والصاعين، وهي لا تتعدى حمل بعير في أقصى تقدير، بسبب القحط الذي ضرب مصر دون غيرها من الدول المجاورة، وأثر سلبا على وادي النيل، فتسبب في جفافه سبع سنوات متتالية، ولا أحد تفطن لهذا التأويل الفاسد المخالف للمنطق والجغرافيا والطبيعة في أن واحد، سوى ابن خالويه فيما نعلم– وهو من أعيان القرن الهجري الرابع، وقد ذهبت تنبيهاته – مع كل أسف – كنفخة في رماد.

وتقليد النصوص التوراتية أيضا هو الذي جعلنا نؤمن بأن القدس– عاصمة يعقوب وبني إسرائيل حسب الزعم التوراتي دوما– يصفها يوسف عليه السلام بـ: "البداوة" بقوله: (وجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) سورة يوسف أية رقم 100. وجعلنا نصدق أيضا أن شعب بني إسرائيل نساءهم ورجالهم وأطفالهم، قد تنقلوا دفعة واحدة من دولة فلسطين إلى دولة مصر المجاورة فقط

للحصول على مطلبهم البسيط "البقول والثوم والبصل والعدس والقثاء: (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا) سورة البقرة أية رقم 61

وجعلنا نؤمن أن مصطلح "بني إسرائيل" هو نفسه المرادف لمصطلح "اليهود"، مع أن الله تعالى قد فرق بينهما تفريقا واضحا، نافيا صفة اليهودية عن إسحاق ويعقوب، والأسباط –وهم بنو إسرائيل – وحسم القضية بأسلوب إستنكاري تعجبي بقوله : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) سورة البقرة أية رقم 140.

ومن غريب الحكايات التي يروونها على نمط القصص الشعبية أن إبراهيم عليه السلام مكث مدة لم ير ابنه إسماعيل فلما اشتاق الوالد لابنه تنقل من فلسطين إلى مكة المكرمة وهو شيخ متقدم في السن، ولم يجد ابنه الذي كان منشغلا بالصيد، وأمره بأن يطلق زوجته لمجرد أنها أجابته بصراحة عن ظروف معيشتهما، في مشهد ينسي كل سامع وقارئ للمهمة التي كلفهما ربهما بها وهي القيام على البيت العتيق وخدمته وإمامة الناس في الصلاة وتعليمهم مناسك الحج والاعتمار.

ومما رووه في قصة الإسراء والمعراج التي حدثت قبل الهجرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انطلق ليلا من بيت أم هانئ التي لم تسلم إلا في فتح مكة قبل وفاة النبي بثلاث سنين...

إن مثل هذه الشطحات التأويلية غير المقبولة لا عقلا ولا واقعا، وأمثالها كثير كافية لتجعلنا نعيد النظر فيما نكتب وفيما نقرأ، ونحذر باحتياط كبير، فيما يسرب إلى تاريخ وتراث الأمة من دخيل مجانب للصواب.

وهذا الأمر، هو واحد من الأسباب التي أكسبتني الجرأة على اقتحام مثل هذه القضايا الشائكة، بعيدا عن مزايدات وهرطقات الفكر الإستشراقي اللاهوتي.

ولقد هالني ما صادفته من مسائل مستجدة في موضوع القضايا التاريخية في القرآن الكريم – مما أنساني عناء البحث ومشقته. وما كان ظني يوما أنني سأصادف مثل تلك الأقوال التي هي في غاية الغرابة.

ومن المتوقع جدا، أن شريحة واسعة من القراء الكرام، قد تنتابهم حيرة ودهشة كبيرتان لما سنعرضه من الأقوال، وما انطوت عليه من مخالفات كثيرة لما هو شائع ومعتاد من التأويلات المبثوثة في ثنايا مصادر تأويل القصص القرآني، والتاريخ العربي القديم، والتي ألفت

سماعها البشرية جمعاء واعتقدت فيها — ردحا من الزمن – أنها من المسلمات الخالدات التي لا يجوز معارضتها أو المساس بها أبدا.

ومن المؤكد أيضا، أنه سيتعجب الكثير عندما يجدون في بعض الأطروحات الجديدة الآتية جانبا مقنعا من الحجج والبراهين الشرعية والمنطقية.

هذا مع إقرارنا المسبق– مثلما يقول الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح بن حبتور– أنه "ليس من السهل البتة على المفكر المؤرخ اختراق تلك المسلَّمات التاريخية التي تَعوَّد الناس على سماعها وسردياتها القصيرة والمطولة من قبل جهابذة الأحبار والكهنة والقساوسة، لأن الوعي الجمعي التراكمي الذي ساد لقرونٍ خلت من التاريخ كانت هي معيار الفهم للأحداث والوقائع في التضاريس الطبيعية والدينية، وبالتالي يحتاج أي مجتهد إلى أدوات وأساليب وبراهين قاطعه وجديدة كي يقنع بها الاختصاصيين من الناس، لأن تلك الأفكار الجديدة ستواجه بمقاومةٍ جادةٍ وشديدة كي لا يتم تمريرها على الناس من باب أن الإنسان عدو ما يجهل، ونتوقع أن تواجه النظرية الجديدة صدٌ وعِداء من قبل خصوم وأعداء الفكرة الجديدة بِرُمَّتها وهُمْ طيفٌ واسع من الباحثين الاختصاصيين الذين يفكرون بعقلية التفكير من داخل الموروث أو كما يقولون من داخل (الصندوق) أو الكرتون" .

وسنرى كيف كان الفكر التوراتي والإستشراقي اللاهوتي - رغم تناقضاته السابقة - وراء اعتبار الشائع والمألوف في جغرافية الأنبياء، من أنه المقدس الذي لا يقبل النقاش أبدا.

ومن جملة هذه المسائل التي هي من صميم موضوع الكتاب والتي سأتناولها بالعرض والمناقشة والتحليل:

أن الفراعنة (آل فرعون) لم يكونوا أصلا بمصر الحالية، وإنما هم عرب من جنس العماليق، توزعوا في أقطار شتى من جزيرة العرب (بين الحجاز واليمن) كما يذكر الطبري والحموي والهمداني وغيرهم.

وأن "مصر" الواردة في القرآن الكريم، لا يراد بها "مصر إفريقيا" كما هو شائع، وإنما هي مدينة قديمة بجزيرة العرب وصفت في الذكر الحكيم بالقرية، ولم توصف بالدولة أو البلد، وأن سنين القحط التي أصابت قوم يوسف لم تحدث إلا في ناحية من اليمن، وقد تأثر بها النجديون والحجازيون كذلك لقربهم من اليمن.

وأن "خزائن الأرض" التي طلب يوسف- عليه السلام - وزارتها وإدارتها، هو إقليم معروف قديما بهذا الإسم جغرافيا وتاريخيا في ناحية من نواحي اليمن، ولا أثر له بأي مكان أخر خارج جزيرة العرب.

وأن اللغة التي تحدث بها إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى، وداوود وسليمان ومن قبلهم نوح عليهم السلام، هي العربية نفسها، وبنفس

الأسلوب والخطاب الذي نقرأه في القرآن الكريم تماما بالحرف والصوت والكلمات، ولم يرد أي نص أو دليل شرعي من أن الأنبياء قد تحدثوا بلغة أخرى غير العربية إطلاقا، وأما حكاية:" ليس من الأنبياء عرب إلا أربعة " فهو مجرد حديث مختلق مصنوع، اصطنعه الذين أرادوا صرف الناس عن حقيقة نسب الأنبياء عليهم السلام.

وأن جميع الكتب السماوية الخمسة بما فيها صحف إبراهيم والتوراة والزبور، مهبطها أرض الجزيرة العربية، ولم ينزل أي منها بأي مكان أخر، وبالتالي فالمسرح الفعلي لأولي العزم من الرسل، كما لغيرهم من الأنبياء هو جزيرة العرب لا غير.

وأن بني إسرائيل– أبناء عمومة العدنانيين –ليسوا هم اليهود أنفسهم، بل هما طائفتان عربيتان مختلفتان في النسل، وفي المكان، وفي الديانة، متحاربتان لا تربطهما أية رابطة.

وأن اليهود الذين مسخوا قردة وخنازير، كانوا بمنطقة "أدوم" من أرض تهامة بالجزيرة العربية.

وأن مقام إبراهيم المشار إليه في القرآن الكريم على أنه "آيات بينات" لا يراد به إلا إقامته ومسكنه الدائم عليه السلام وهو بمكة المكرمة مع ذريته، تحديدا في منطقة المشاعر بين المزدلفة والبيت العتيق إلى أن وافاه أجله مثلما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين، وأن

إسحاق ابن إبراهيم عليهما السلام كان يعيش في بيت والده بعرفة، ولم يطأ أرض فلسطين أبدا، كما تدعي التوراة، الأمر الذي اشتبه على الصحابة والإمام مالك أنه هو الذبيح وليس إسماعيل.

وأن مكة المكرمة كانت مأهولة بالسكان حينما دخلها إبراهيم عليه السلام، لم تكن قاحلة مثلما ينقل عن التوراة، وأن المقصود في دعاء إبراهيم (وادي غير ذي زرع) وهو المعروف بوادي إبراهيم فقط وليس كل مكة المكرمة.

وأن إبراهيم عليه السلام ولد بضاحية من ضواحي نجد قرب مكة المكرمة تعرف بحوران ولم يولد لا بالعراق ولا بأي بلد أخر حسب أخر الدراسات الحديثة.

وأن موسى عليه السلام حج بيت الله الحرام مرات عدة، وحج معه الآلاف من بني إسرائيل في مواسم الحج التي كانت مستمرة في عهدهم، مثلما ما ورد ذلك في الآثار المنقولة عن الصحابة، وحج عيسى عليه السلام أيضا مع الحواريين، وأحرم كل هؤلاء بالوادي المقدس طوى الذي كلم الله فيه موسى، وهو عند العدوة القصوى قرب مكة المكرمة، بمكان إحرام الحجيج قديما.

وأن داوود عليه السلام قد اعتكف بغار حراء قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك هو التحنث الموروث عن أبيهما

إبراهيم عليه السلام، وأن دعوته ظلت بين جبال السروات بعسير (جنوب المملكة السعودية حاليا)، وهي نفسها الجبال التي أوبت معه، كما هي أيضا نفسها جبال الطود العظيم، ولم تكن مملكة ابنه سليمان الحميري إلا في الإقليم اليمني الذي لا يزال يحتفظ باسمه إلى اليوم "المخلاف السليماني " ولا تزال ذريتهما وأحفادهما بين قبائل غامد وقحطان والسراة هناك بتهامة وعسير إلى اليوم.

وأن السبي الأشوري (المسمى بابلي) وقع حصريا في عرب اليمن، تحديدا بجبل حضور قرب صنعاء، كرد فعل انتقامي من السلطان الأشوري "بختنصر" على مقتل نبي الله شعيب عليه السلام، من طرف اليهود هناك.

وأن جبل الطور أو جبل المناجاة، هو الذي يسمى محليا "جبل شنوة" بمنطقة عسير بالسعودية حاليا، بجانب "قرية البقرة" التي وقعت بها القصة القرآنية المشهورة، وبجانب " قرية الشقيقة" أيضا، التي شق فيها موسى البحر، وبجانب وادي الحلي اليم الذي ألقى فيه موسى حلي العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل.

وأن الحروب التي قام بها يوشع عليه السلام، لم تكن إلا بالقرب من الأرض التي وصفت في القرآن الكريم بالمقدسة " مكة وما حولها" وليس كما تزعم التوراة بفلسطين.

وأن المغاربة قد أرسلوا وفدا عنهم، التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم سلما، وتحدث إليهم جهارا، في إحدى غزواته، وسر بهم، وبشرهم بالنصر المظفر، كما في صحيح مسلم، ودون حاجة إلى ترجمان الأمر الذي يفهم منه أن مصطلح المغرب والمغاربة كان معروفا لدى الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

وأن اليهود لا تربطهم أية صلة بنبي الله إسحاق، ولا بابنه يعقوب عليهما السلام لا بالعرق ولا بالدين ولا باللغة.

وأن موسى عليه السلام ليس من القبيلة التي نسبه إليها اليهود في التوراة (بني لاوي)، وقد خلف ذرية خلافا لما زعموا، وذريته موزعة في عدة أقطار باسم أولاد موسى وبني موسى، ومدين التي صاهر فيها شعيب هي نفسها مدينة بدع السعودية اليوم.

وأن الجودي الذي رست به سفينة نوح عليه السلام، ليس إلا جبل (زعتر) بأرض اليمن، أين كانت وقائع دعوته في التصدي للأصنام الخمسة هناك، قبل أن ينقلها عمرو بن لحي للحجاز.

وأن كلا من نبي الله آدم، ونبي الله إدريس عليهما السلام، كانا يتكلمان السريانية التي لا تعدو أن تكون واحدة من اللهجات اليمنية القديمة تبدأ بالتاء أحيانا، وتبدل القاف كافا أحيانا أخرى، وما تزال أثارها باقية إلى اليوم.

وعلى المستويين العرقي واللغوي، جاء في الدراسات الحديثة أنه لا وجود لشعب إسمه "فنيقي" كما لا يوجد شعب إسمه "كنعاني"، ولا توجد أصلا حضارة لشعب إسمه "الحثيين" ولا"اليبوسيين"، ولا"الموؤابيين"، ولا"العمونيين"، ولا تدل هذه المصطلحات إلا على عشائر متفرقة باليمن والحجاز تنتمي كلها لشعب عربي واحد ليس إلا، وأن اللغات المنسوبة إلى جميع هذه العشائر، ماهي إلا لهجات محلية عربية، تختلف طفيفا فيما بينها، في الهمز والمد، والقاف والكاف، والهاء والتاء، والإبدال في أول الكلمة وآخرها نحو ذلك.

وإن الذين اعتبروهم حضارات "حثية" "هندو أوربية" منقرضة، لم تكن في الواقع سوى قبيلة (بني حث بن عامر) الباقية حاليا تحت هذا الإسم بقرية الحثيين باليمن، ولو ذهبوا هناك لوجدوهم ولتحدثوا إليهم.

كما أن الشعب الذي نعتوه بالكنعاني، والذي دندن حوله كتاب كثيرون، وقام بشأنه جدال وسجال طويل صدع الرؤوس، لا يراد به إلا قبيلة "بني كنانة" العربية، التي ينسب إليها الرجل فيقال عنه: "كناني" وبصيغة الجمع "كنانيين"، وأن الذين وصفهم اليونانيون "فنيقيين" لم يقصدوا بهم في الأصل إلا "الشعب الأحمر " الذين هم "الحميريون اليمنيون" نسبة إلى البردة الحمراء لجدهم الأعلى.

وأن خط المسند اليمني هو الأصل للكثير من الخطوط العربية وغير العربية، بما في ذلك رسم" التيفناغ" في شمال إفريقيا، والخط الهيروغليفي في مصر.

وأن قضية وأد البنات لم تكن مطردة في العرب أيام الجاهلية، وإنما هي مقتصرة على قبيلتين فقط، بنو بكر، وتميم، خوفا من العار والفقر.

ومع هذه الأخبار التي تحمل في طياتها غرائب ومفاجئات كبيرة، يضيف ابن جرير الطبري المفسر والمؤرخ مفاجأة من طراز آخر، مفادها أن التأريخ المسيحي المعمول به لدى النصارى إلى زمانه، لا يتعلق أبدا بميلاد المسيح عيسى عليه السلام كما هو معروف، وإنما يرتبط بإسكندر المقدوني الذي حكم مصر قبل الميلاد بقرون.

وما يعزز شهية البحث، وجود أسماء كثيرة لمدن، وقبائل وجبال، وأودية، حجازية أو يمنية، مطابقة تماما لما هو موجود عندنا في الجزائر، وبلاد المغرب العربي عامة على غرار مدينة الشلف، والمسيلة، وبونة، وصبرة، وسعيدة، والمدية، ومقرة والقرارة، وجزيرة بربرا (سقطرى حاليا)، ورباط البربر، ووادي المالح واد سير ووادي سوف وجبل شنوة ومن القبائل على غرار: بني هندل، وبني هني، وبني شاوي وبني بهلول وبني وهران، وبني شقران وبني حلوان، وبني مطهر، وأولاد يعقوب، وبني سليمان، وبني ثور، وكتامة، وزناتة، وقبائل شنوة، والجرايرية، وبني مراد وأولاد موسى، وأولاد عدي، وبني عمران وبني منصور وبني راشد ... وغير ذلك، ولا تزال هذه القرى والمدن والقبائل تحتفظ بهذه الأسماء اليوم باليمن والحجاز.

وأمر آخر، هو ثاني الدوافع إلى اقتحام الكتابة في هذه المواضيع، أن أولائك المتعمدين لطمس التاريخ، وقلب الحقائق، لم يستحوا على

ما فعلوا، ولم تتوقف حملاتهم عند هذا الحد من التضليل والتزييف الذي طال جغرافية أنبياء الله، ونسبوهم إلى غير قبائلهم، وإلى غير أماكن دعواتهم، فراحوا يطلقون العنان لحماقتهم في إلصاق كل تهمة بالعرب، فصوروهم عالة على البشرية، وقد عميت أبصارهم عن كل فضيلة عرفها العرب قديما، ومشوا على خطى القائل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة...وعين السخط تبدي المساوئ

وبالغت في الحط منهم مبالغة تجاوزت كل حدود للباقة، وأجحفت غاية الإجحاف في حق أمة ولدت فيها خصال: الشجاعة، والكرم، والعفو والحلم، والإباء، والإجارة، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، والذود عن شرف الوطن والقبيلة، في وقت مبكر من التاريخ، وجعلت منها عنوانا لوجودها.

فمن العرب بعث أنبياء الله جميعا، ومنهم كان بنو إسرائيل، ومنهم كان العدنانيون والقرشيون، ومنهم الذين قالوا :نحن أنصار الله، ومنهم أصحاب السفينة مع نوح عليه السلام، ومنهم ذو القرنين الذي أطل على مشارق الأرض ومغاربها، ومنهم الخضر عليه السلام، ومنهم لقمان الحكيم، وفيهم بعث إدريس (أول من خط بالقلم)، ومنهم أصحاب الكهف والرقيم، ومنهم المناذرة والغساسنة، وبأرضهم الجنتين عن يمين وعن شمال، بلدة طيبة ورب غفور، وبأرضهم العرش الذي عظمه الله، و البقعة المباركة، والطود العظيم، وفيها نطق الهدهد، وحذرت النملة من جند سليمان، وفيهم كان الملوك التبابعة الذين

ورثوا الملك صاغر عن كابر، وأخر عن أول، وفيهم نزل أشرف وأعظم كتاب وبعث سيد الكونين والثقلين وسيد ولد أدم إلي يوم القيامة.

ومع هذا الفضل كله، لا تزال بحوث ومقالات تصور حياة العربي تترنح في جاهلية بين نهاية حرب وقيام أخرى، ليس بينهما استراحة يسيرة، وأن ساحة العرب قديما خلت إلا من وأد البنات وإخافة السبيل، وإدمان الخمور، وضرب الميسر، وعبادة الأوثان، وأكل أموال الناس بالباطل..

لقد صوروا كل شيء ينذر بالفناء في بيئة العرب القديمة، حتى كأنك تتجول في غابة تلاشت فيها كل القيم، ولم يعد بها بقاء إلا للأقوى.

ومعلوم أن مثل هذا الكلام الخطير المفترى على أمة قدر الله أن تكون خلافة البشرية فيها بعد نوح –عليه السلام "وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً "سورة الأعراف أية رقم 69 – هو فيض من غيض، طفحت به الكثير من الكتابات، وسخرت له أقلام وندوات لا نعلم بواعثها وما تخفي وراءها وإن كانت مراميها بادية ...

إن مثل تلك النظرات الضيقة، والأفكار المشبوهة المجانبة للمعيار العلمي الدقيق إلى جانب أفكار أخرى – مرتبطة أيضا بالدراسات القرآنية أو التاريخية، التي نفخ في رمادها ثلة من المستشرقين، لتنبعث منها رائحة الشك والقلق، كونها لا تخرج عن دائرة الحملات المسعورة التي تعكس مدى الحقد الدفين، وتكالب الأمم، على هذه الأمة الشريفة.

ولقد انبرى في التصدي لها- ولله الحمد - لفيف من العلماء والأدباء في كل عصر كان الجاحظ وابن قتيبة والقاسم بن سلام في طليعتهم، وقد فضحوا الكثير من مثالب ومخططات الشعوبيين.

وإلى هنا، يمكن القول أن هذه الدراسة قد اتضحت معالمها، وبانت غاياتها فهي تهدف بالأساس إلى البحث عن الحقائق التاريخية العربية المقنعة، المستنبطة من القرآن الكريم، ومن قصص الأنبياء والمرسلين تحديدا، وفق معايير الموضوعية الدقيقة، المستندة إلى نصوص الكتاب والسنة، مع تفسيرات خيار السلف من الصحابة الكرام وتابعيهم أولا، ثم الجغرافية التاريخية للعرب ثانيا، ثم المعاجم والمصادر اللغوية والأدبية. ويحاول هذا البحث تقديم رؤى بديلة عن النصوص التوراتية في بيان حقيقة أرض الأنبياء، بعيدا عن تعسف التأويلات الإستشراقية اللاهوتية.

كل ذلك من خلال مراجع موثوقة، بعيدة عن الشبهات التي يروج لها الفكر الإستشراقي اللاهوتي التوراتي، وترهات اليهود التي ساهمت في إضفاء الكثير من الضبابية، وبث الأغاليط عبر الكثير من الروايات والأخبار القديمة.

وأعتقد أن هذا العمل المتواضع ليس هو نهاية القول، ولا هو فصل الخطاب، بقدر ما هو حلقة من سلسة البحوث التي قد تسعف القارئ المتعطش للحقيقة، وتدفع به إلى المزيد من الهمة في شغف البحث، وتوخي المعرفة العلمية الحقيقية المجانبة للخرافة والأساطير.

وكي لا يتوهم القارئ الكريم من أن هذه الرؤى الجديدة قد تولدت من عدم، أو جاءت تبعا لهوى وشبهات، أو أريد بها محض المخالفة، كان لابد من لفت الإنتباه على أنها اجتهادات مستنبطة من مصادر عربية وإسلامية قديمة، أريد لها – بشكل غير مفهوم – أن تظل مدسوسة، مهجورة منسية، بين أبناء المسلمين الذين كتبت في ديارهم وبين ظهرانيهم تماما مثلما غيبت أحاديث صحيحة وأثار عن عامة الناس، وكما أخفيت أشعار وقصائد من دواوين العرب على غرار ديوان الحكيم أمية بن الصلت، وقصيدة جرير في ذكر نسب العرب وقصيدة حسان بن ثابت في عد أنبياء الله اليمانيين...

ولهذا كان السعي من وراء هذه الدراسة، محاولة الإجابة عن بعض التساؤلات التي قد تفرض نفسها في المقام بناءا على تلك الفرضيات والاجتهادات المشار إليها سابقا، هل صحيح أن ما هو متداول وشائع من تأويلات لقصص القرآن الكريم هو منقول عن نصوص التوراة المحرفة؟

وإلى أي مدى يمكن اعتبار تلك الأطروحات السابقة المتعلقة بالقصص القرآني صحيحة؟

وبمعنى أوضح: أصحيح أن إبراهيم وموسى وعيسى، وداوود وسليمان عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء، لم يكونوا إلا باليمن والحجاز فقط؟

وهل صحيح أن بني إسرائيل قبيلة عربية موقعها قرب مكة المكرمة، وهي لا تمت بصلة لليهود؟ وهل فعلا مصر المذكورة في القرآن الكريم ليست جمهورية مصر الحالية؟

وهل فعلا الفراعنة كانوا عربا؟ وهل صحيح قصة يوسف والأسباط وأبوهم لم تخرج وقائعها عن جزيرة العرب؟ وإلى أي مدى يمكن الإطمئنان لمثل هذه الأخبار؟ أم هي لا تعدو أن تكون ضربا من التخمين والأوهام أريد لها محض مخالفة الشائع والمألوف؟

هذه الأسئلة كلها، بالإضافة إلى فروعها ومتعلقاتها، قد حاولت التطرق إليها عبر هذا الكتاب ومن خلال وجهات نظر خارج إطار النظرات الكلاسيكية المألوفة الذي هو بعنوان:" دراسات في تاريخ العرب القديم من القرآن الكريم ".

والمشكل الأكبر هو أنه على تقدير صحة هذه الفرضيات، فهل راح العالم برمته ضحية أغاليط صهيونية تاريخية إلى هذه الدرجة؟ وكيف استمرت كل هذه الفترات الطويلة من الدهر؟ ومن المسئول عن هذه الفضائح التاريخية؟ وماذا كان يراد من ورائها؟

ومهما تكن النتائج التي قد تفضي إليها هذه الدراسة، فإنها ليست بالضرورة ملزمة لأي كان، بقدر ماهي تعبير عن وجهة نظر غير تقليدية، قد تثري جانبا فكريا من المباحث التاريخية المنبثقة من القرآن الكريم.

ولزخامة الحوادث التاريخية التي جرت في بيئة العرب، والتي تضمنتها سور القرآن الكريم، وأنه يستحيل حصرها في مثل هذه الإطلالة السريعة، رأيت أن الإعتماد على المنهج التحليلي التاريخي أولى من غيره لتوضيح الفكرة وإيصالها إلى أذهان القراء الكرام، ولهذا جاءت القضايا المتطرق إليها مقتضبة على جهة الأمثلة لا على جهة الحصر أو الاستقراء.

هذا ولقد حرصت في دراستي هذه على كتابة آيات القرآن الكريم وفق رسم المصحف العثماني الشريف، وتخريج الأحاديث من مظانها، وعزو الأقوال إلى أصحابها، وذكر الكتب والمصادر التي استقيت منها المعلومة، كما أنني ترجمت للأعلام المغمورين والمشار إليهم في صلب الموضوع، سواء أكانوا من القدامى أم من المحدثين، وتركت المعلومين منهم لشهرتهم، كما عرفت ببعض المدن والأماكن والقبائل الغامضة التي ذكرت في صلب الموضوع.

ولأجل إثراء الموضوع من كل جوانبه بآراء علمية عديدة ومتنوعة، ولكونه متداخل ومشترك بين ما هو تفسيري وما هو تاريخي وجغرافي، وما هو أدبي ولغوي من جهة أخرى، كان لزاما على الجمع بين كل هذه المصادر قدر ما استطعت دون إهمال غيرها، على غرار القواميس وكتب الرحلات ومصادر الأنساب، ولارتباط الموضوع بالنصوص القرآنية ارتباطا وثيقا، فإنه من الطبيعي جدا أن تحتل التفاسير، ومفردات القرآن الكريم والدراسات اللغوية القرآنية المركز الأول فيه.

كما كانت استفادتي أيضا من الكتابات والمشاركات المعاصرة المنشورة من كتب ورسائل وأطروحات وصحف ودوريات، سواء كانت ورقية أو منشورة عبر المواقع الإلكترونية.

ومعلوم أن مثل هذه الأعمال الجديدة قد تبدو غريبة على الدارسين فضلا عن العامة والطلبة، وهذه أولى الصعوبات وأبرزها.

وثاني العوائق من الصعوبات، ندرة المصادر، وقلتها، الأمر الذي يحتم على أي باحث في مثل هذه المسائل، توخي الدقة والحذر أثناء نقل الأخبار والتأويلات، إذ ليس كل طرح جديد هو بالضرورة مفيد، فقد يكون ظاهره الرحمة وباطنه فيه العذاب، خصوصا مع تلك المرحلة التي تعد حاسمة من التاريخ.

والكتاب يتناول قضايا التاريخ العربي القديم من منظور القرآن الكريم وتحديدا القصص القرآني.

فهو يتعلق بمختلف وقائع العرب في شبه الجزيرة، ولغاتهم، وأنبيائهم، والقبائل التي بعثوا فيها، والقبائل التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي، وظروف ذلك واللهجات التي حملوها معهم، وكذلك الأسماء والمصطلحات. ولذلك جاءت مباحثه موزعة على فصول ثلاثة:

تناولت في الفصل الأول منها قضية المصطلحات والمفاهيم، فتحدثت عن معاني التاريخ ومفهومه، ومصطلح العرب والجزيرة العربية تاريخيا وجغرافيا، والمسائل المتعلقة بكتابة التاريخ العربي القديم وعوائق ذلك،

ومجمل التحديات التي واجهتها، مصادر كتابة التاريخ القديم لدى العرب والمسلمين، والمنهج الذي سلكه القرآن الكريم في عرض تلك الحوادث التاريخية، سواء في موضوع القصص القرآني، أو في غيرها من المواضيع ذات الصلة.

أما الفصل الثاني فقد تطرقت خلاله إلى نماذج من الرسل والأنبياء ومواطن دعواتهم، وإقامتهم، مركزا بالخصوص على مدى ارتباط التاريخ العربي القديم بسير الأنبياء.

وفي الفصل الأخير، تناولت موضوع المدن والقبائل واللهجات، فقد تحدث عن الثراء اللغوي في الجزيرة العربية، مع عرض نماذج من نصوص مختلف اللهجات القديمة باليمن، وكيف انتقلت هذه اللهجات إلى الشمال الإفريقي على رأي الهمداني ومن وافقه، وذكرت أسماء المدن والقرى العربية القديمة المتشابهة بين جزيرة العرب والمغرب العربي مع محاولة تعليل هذا الأمر

وأما في الخاتمة، فقد عرضت خلاصة ما انتهت إليه الدراسة من أراء وإجابات عن الفرضيات التي تم طرحها في الإشكالية، مبينا أن هذا سيظل وجهة نظر لقضايا مفتوحة للنقاش والإثراء مع رحابة صدر.

والله أسال أو يوفقني إلى السداد ويلهمني الرشاد، وما توفيقي إلا بالله العلي القدير.

الحسين يختار

مستغانم في: 10 ماي2022

الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات

تاريخ العرب القديم

في مفهوم التاريخ:

التاريخ في اللغة: من أصله (أرخ) و"الأُرْخُ والأُرْخِيُ، لغتان: الفتي من البقر والأنثى أُرْخِيَّةٌ، والجميع الأَرَاخُ والإِرَاخُ، لغتان. وتقول ألقحت إِرْخُهُمْ والأُرْخِيَّةُ ولد الثتيل. وأَرْخَتِ الناقةُ، وإِرْخَاؤُهَا: إصلاؤها، فإذا تَرَخَّتْ قيل: أصلت، وإصلاؤها إنهاك أصلابها، أي انفراجها لعظم الجنين، وذلك إذا عظم ولدها في بطنها"[1]

وفي الإصطلاح يراد به:" مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث في نوع معين من الوقائع التي تصل بالأحياء من الناس في مجتمع ما خلال توالي الأزمنة". أي هو علم يتضمن ذكر الوقائع التي تتصل بالبشر في فترة محدودة من الزمن الماضي"[2]

1- الفراهيدي الخليل بن احمد / كتاب العين ج 4 – مؤسسة دار المقتبس – دمشق- مادة أرخ ص 301

2 – مقدم رشيدة / العرض التاريخي في القرآن الكريم– خصائصه وسماته الفنية – مذكرة ماجستير 2007/2006 جامعة وهران ص 4. وقد أشارت الباحثة إلى تعريفات أخرى، وكلها يدور الغالب على ما جاء في التعريف المذكور. كما أوضحت أن مصطلح " التاريخ" لم يرد في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية أو في الشعر الجاهلي.

خصائص القضايا التاريخية في القرآن الكريم:

انتهى الدارسون المعاصرون إلى أن للقضايا التاريخية المذكورة في القرآن الكريم خصائص وسمات، أبرزها: صحة الحدث، والبعد الواقعي للحادثة[1]

أسلوب القرآن الكريم في عرض القضايا التاريخية:

ويبدو أن أغلب الحوادث التاريخية المعروضة في القرآن الكريم قد طغى عليها المنهج الوصفي.

ذلك أن القرآن الكريم سلك أسلوبا متميزا، بعيدا عن التفاصيل والجزئيات إذ هو "يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل الجزئيات، فهو لا يذكر- غالبا- تاريخ الوقائع، ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها، ولا أسماء الأشخاص الذين جرت على يدهم بعض الحوادث، وإنما يتخير ما يمس جوهر الموضوع"[2]

أسباب تسرب النصوص التوراتية إلى كتب التفسير والتاريخ:

أشار ابن خلدون إلى أنه من جملة الأسباب التي دفعت بالمؤرخين العرب إلى سلوك هذا المسلك في تدوينهم للتاريخ أنهم:" لم

---

1 - هذا ما توصلت إليه الباحثة رشيدة مقدم في أطروحتها المشار إليها سابقا.

2 - أحمد أمين/ ضحى الإسلام ج 1 - مكتبة الإسكندرية- مصر- سنة 1997 م- ص332

يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء، مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، **وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما يعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا علاقة له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها**، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرّى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملئوا الكتب بهذه المنقولات، **وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه**

من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم، وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقّيت بالقبول من يومئذ"[1]

فالتوراة حسب مفهوم ابن خلدون كتبت في بادية اليمن، ثم نقلها الذين أسلموا من حمير منهم إلى كتب التفسير.

وكان الطبري ابن جرير قد سبق ابن خلدون إلى هذا الطرح، وبين أن عناية أهل الإسلام بالتاريخ في البداية تكاد تكون ضئيلة أو منعدمة "فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة، ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك، غير أن قريشا كانوا- فيما ذكر- يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة، كتاريخهم بيوم جبلة، وبالكلاب الأول، والكلاب الثاني. **وكانت النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذي القرنين، وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم**"[2]

---

1 -ابن خلدون عبد الرحمن / المقدمة - مؤسسة الرسالة – بيروت- 1377 هـ- ص 439

2 - الطبري ابن جرير /تاريخ الرسل والرسالات –ج 1 - دار التراث - بيروت –ط2 - 1387 هـ - ص193

ولا يخفى على أحد أن انصراف الناس عن الإهتمام بتدوين التاريخ العربي القديم أدى" إلى ضياع الكثير من أخبارها، وبالتالي نسيانها، وإلى ابتداء التاريخ عند المسلمين بعام الفيل"[1].

وأمام هذا الوضع المعقد، وجد العرب والمسلمون عامة أنفسهم مضطرين إلى البحث عن سبل أخرى للوصول إلى تاريخ العربي القديم فوقع إهتمامهم بمرويات مسلمة أهل الكتاب " وحين بدأ المؤرخون العرب في العصر الأموي بكتابة ما هو باعتبارهم تاريخ لم يكن لديهم من المصادر غير كتاب اليهود المقدس (التوراة) "[2]...

الاعتماد على أخبار مسلمة أهل الكتاب:

لم يخف مؤرخو الإسلام هذه النزعة التي لجئوا إليها في التأريخ للحوادث القديمة، ففي أثناء حديثه عن حرب يوشع بن نون يذكر ابن خلدون صراحة ذلك: "وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكّام على التتابع معتمدا على الصحيح منه، على ما وقع في كتاب الطبريّ والمسعودي، ومقابلا به ما نقله صاحب حماة من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الإسرائيليات، وما نقله أيضا هروشيوش[3]

---

1 - مهران بيومي/دراسات في تاريخ العرب القديم- دار المعرفة الجامعية -ط2 – الإسكندرية- ص6

2 - جورجي كنعان/ محمد واليهودية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت – ط1 –سنة 1999م–ص393

3 - يقصد المؤرخ الأوربي أوراسيوس.

مـؤرّخ الـروم في كتابـه الّـذي ترجمـه للحكـم المستنصـر مـن بـني أميـة[1] قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ.."[2]

وهكـذا يتضـح أن ابـن خلـدون قـد سـار على نهـج أسـلافه مـن مؤرخي الإسـلام – على غـرار الطبري والمسعودي وابـن الأثـير — مـن اعتمادهم على ما جاء في سفر الحكام وسفر الملوك من التوراة[3].

التداخل بين مصطلح اليهود ومصطلح بني إسرائيل:

ويضـاف إلى مـا سـبق، مشـكلة أساسـية أخـرى، وهـي التـداخل بـين معنى الروايـة اليهوديـة والروايـة الإسـرائيلية، ونـتج عـن هـذا الفهـم إسـقاط معنى اليهود على معنى بني إسرائيل، وفهموا بذلك أن الترخص الوارد في حـديث " بَلِّغُوا عَنِّي ولـو آيـة، وحَـدِّثُوا عـن بَنِي إسـرائيل ولا حَـرَج ومَـن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[4] هو ترخص يخص اليهود، للتلازم في الفهم بأن بني إسرائيل هم أنفسهم اليهود والعكس كذلك.

---

1 – المستنصر بالله أحد الحكام الأمويين بالأندلس في القرن الهجري الرابع.

2 – ابن خلدون عبد الرحمن / ديوان المبتدأ والخبر –المعروف بتاريخ ابن خلدون ج1– دار الفكر– بيروت – سنة 2000م /ص 210

3 – هذه الأسفار قيل إنها لم تكن في التوراة الأصلية ولا علاقة لبني إسرائيل بها وإنما أدرجها اليهود في كتابهم المقدس

4 – البخاري محمد بن اسماعيل / صحيح البخاري–كتاب أحاديث الأنبياء–باب ما ذكر عن بني إسرائيل

والحق أن بني إسرائيل يختلفون جذريا عن اليهود، بدءا من الأصول: "يطلق على إسرائيل إسم بيت يوسف، وعلى يهودا بيت يهودا، مؤكدا بذلك انعزالهما عن بعضهما بعضا، "وكذلك نقرأ في الموسوعة العبرية ينحدر يوسف ويهودا من خطوط أنسال وسلالات مختلفة عن بعضها، مضيفة بذلك على ما ذكر سابقا بأن يهودا على الأغلب لم تكن قبيلة إسرائيلية"[1]

ويواصل الكاتب الصحفي دوغلاس[2] ريد في توضيح الفروق الشاسعة بين دلالة إسم اليهود الذين أرجعهم إلى أصلهم الأول "بني لاوي" بجنوب غرب الجزيرة العربية، ودلالة إسم بني إسرائيل الذين هم سلالة الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام.

وأن أنبياء بني إسرائيل ليسوا يهودا، بل عارضوا الديانة اليهودية " لقد كان الأنبياء إسرائيليين أقحاحا عارضوا تعاليم اللاوية والتي تطابقت فيما بعد مع اليهودية"[3]

وأن ثمة فرقا شاسعا بين عقيدة بني إسرائيل القائمة على المحبة

---

1 – دوغلاس ريد: الجدل حول الصهيونية، ترجمة م. أديب فارس دار علاء للنشر، دمشق، ص15

2 – دوغلاس ريد(*Douglas Reed*) صحفي وروائي بريطاني، ولد لندن-1895وتوفي بجنوب إفريقيا سنة 1976 اشتهر بمؤلفاته التي كشف بها فضائح الصهيونية في العالم ،وقد نفذت كل الطبعات الثلاث بأوروبا

3- دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص19 وبني لاوي قرية اللاوية بالقرب من الحديدة باليمن

والرأفة والرحمة والعطف على اليتامى والأرامل والفقراء، وعقيدة اليهود القائمة على الحقد والدمار والدموية.

ولأجل ذلك كان لبني إسرائيل إعتراضات على هذه العقيدة المدمرة "ويبدو صدى هذه الإعتراضات غريبا على خلفية الدعوات الحقودة للقتل والتدمير التي يعج بها العهد القديم، ومن الغريب أنها بقيت حتى بعد اختفاء بني إسرائيل وأصبح (اللاويين[1]) سادة يهودا الحقيقيين وقاموا بكتابة الكتب المقدسة من جديد"[2]

والأخطر من ذلك فيما يقول دوغلاس ريد أن الكتاب الذي يزعم اليهود بأنه من عند الله ما هو إلا تدوين من طرف كهنة اليهود من قبيلة بني لاوي اليمنية القديمة **"العهد القديم تم تدوينه من طرف كهنة اليهود اللاويين ولا علاقة لبني إسرائيل به"**[3]

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في نقل الأخبار عن اليهود، وهم الكذبة عن الله وعن رسله الكرام، وقد حذر الله تعالى من تصديق أقوالهم أو أفعالهم، ووصف من أمن

---

1 – قبيلة يمنية قديمة تزعم أنها من نسل بني إسرائيل وليس كذلك، وفيها كان كبار كهنة اليهود في القرن السابع للميلاد، من تصريحاته في كتابه أن حوالي 85 في المائة من يهود العالم هم من الخزر.

2 – دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص 19– 20

3– دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص 19 وهذا الكلام ربما أخذ من نص ابن خلدون السابق

كيدهم وشرهم بأنهم أشد الناس عداوة " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا.."[1]

آثار الإعتماد على مرويات أهل الكتاب:

وقد أدى هذا التصرف إلى ظهور الكثير من " المبالغات -إن لم نقل الخرافات- التي أدخلها أهل الأغراض، أو الطامعون ممن دخل الإسلام من يهود أو نصارى، وبخاصة أولئك الذين كانت لهم ثقافة يهودية واسعة، وفي نفس الوقت كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة، ومركز ملحوظ بين المسلمين، لأنهم -كما يقول ابن إسحاق- "أهل العلم الأول"، ومن ثم فقد كان العرب يستفتونهم في بعض ما غمض عليهم، فيفتونهم بما تعودوه"[2]

ومن الآثار الوخيمة المترتبة عن هذا أيضا، أن طفحت الكثير من كتابات المؤرخين والمفسرين بالروايات الإسرائيلية (اليهودية) والإحصائيات الحديثة تذكر أن:" مجموع الروايات الإسرائيلية التي أخرجها ابن جرير الطبري وحده في تفسيره تصل إلى 2022 رواية

1- سورة المائدة - الآية رقم 82

2- بيومي مهران / دراسات في تاريخ العرب القديم ص 3

بعضها عن الصحابة وأخرى عن تابعيهم"[1]

ومنذ ذلك الحين "بدأت **الأساطير اليهودية** تنتشر بين الناس، ويصدقها ضعاف المؤرخين"[2]

والأخطر من هذا وذاك، أن تلك الأساطير " أضحت من الحقائق المسلم بها والتي لا يجرؤ أحد على نقضها أو النطق بخلافها "[3]

"ومن هنا جاء تاريخ ما قبل الإسلام الذي دونه المؤرخون العرب منقولا برمته جملة وتفصيلا عن التوراة اليهودية، والصحيح عن الإخباريين اليهود"[4]

وما يثير الدهشة والإستغراب في أن واحد أنه" على الرغم من كل هذه الآيات التي تحذر من تحريف اليهود لكثير من دلالات نصوص كتابهم المقدس، وإخراجه للناس تحت زعم (أنه من عند الله)، وبالرغم من جهود عدد من علماء المسلمين في تبيين ذلك التحريف الذي تسلل إلى تراث المسلمين وفكرهم، بل إلى فكر كثير من المجتمعات غير المسلمة، على الرغم من كل ذلك، مازال ذلك

---

1 – قشاش أحمد بن سعيد / ألفاظ جغرافية في القرآن والسنة النبوية – دراسة في الدلالة الجغرافية التاريخية مجلة الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة – ملحق العدد 183– الجزء التاسع– ص 280

2 – بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب القديم ص4

3 – قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 28

4 – قشاش أحمد بن سعيد / نفس المرجع والصفحة

التحريف المتعمد يشكل القاعدة الأساس لفهم معظم قصص الأنبياء وتاريخهم عند كثير من علماء المسلمين وعامتهم، وتسلل إلى كتبهم الدينية والتاريخية ومناهجهم التعليمية"[1]

ومن المؤسف جدا أن صار ذلك:" من المسلمات التي لا يشكون في صحتها وقداستها **وربما رموا من يخالفها بالكفر والزندقة**، ونحو ذلك من التهم الباطلة بسبب هيمنة الروايات الإسرائيلية المحرفة، وبالأحرى الدسائس اليهودية، على الفكر الإسلامي منذ القرن الأول الهجري حتى عصرنا هذا"[2]

مسلمة أهل الكتاب:

ونظرا للجدل المثار حول أخبار أهل الكتاب الذين ملأت مروياتهم كتب التفسير، وكتب التاريخ كان لابد من ذكرهم وتعيينهم بأسمائهم "وهب ابن منبه وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وأبو عتاب وغيرهم"[3]

وكعب الأحبار، هو كعب بن ماتع الحميري، توفي بحمص سنة 32 هـ-وهب بن منبّه الصنعاني، توفي بصنعاء سنة 144 هـ على خلاف.

1- قشاش أحمد بن سعيد /المرجع نفسه ص 284 – 285
2 - قشاش أحمد بن سعيد / نفس المرجع ص 285
3 - قشاش أحمد بن سعيد / نفس المرجع ص 280-281

4- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، توفي سنة 150 هـ.

مرويات كعب الأحبار بين القبول والرفض

تعتبر شخصية كعب الأحبار أهم الشخصيات التي لفتت اهتمام الباحثين وأسالت حبر الكثير من الأقلام، ولا تزال تثير جدلا واسعا بسبب أمور شتى، وعليها مدار الكثير من أخبار يهود اليمن قديما " وكان كعب الأحبار رجلا من حمير، من ذي رعين وكان قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وأوسع في العلم"[1]

وما هو جدير بالذكر أن شخصية كعب الأحبار في المجال التفسيري والإخباري لم تكن محل رضا ومباركة الجميع، فقد تباينت آراؤهم بشأنه كثيرا.

فإلى جانب ما تقدم من إثبات ثقته، يتوجس آخرون من مروياته حذرا، فهذا رشيد رضا المفسر ينعته بـ: "بطل الإسرائيليات الأكبر"، وبأنه كان يضع الروايات الخرافية "ليغش المسلمين، وليفسد عليهم دينهم وسنتهم، ويخدع بها الناس لإظهاره التقوى"[2]

---

1 – الهمداني الحسن بن أحمد /الإكليل من أخبار المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم ونسب ولد مالك بن حمير- ج1– وزارة الثاقة والسياحة اليمنية – صنعاء – ط2 -2004م - ص 9. ويذكر الكتاب أحيانا بعنوان: الإكليل في أنساب اليمن.

2 – يسري محمد /مقالة بعنوان: "كعب الأحبار صاحب النبوءات والمصدر الأول للإسرائيليات" - مجلة رصيف 22، مجلة إلكترونية على الرابط: https://raseef22.net/article/1074490

و "بحسب ما تتفق عليه المصادر التاريخية الإسلامية، فإن كعباً كان من اليهود الذين يسكنون في اليمن، وكان من الأحبار والعلماء المعروفين بدرايتهم الواسعة في قراءة ودراسة الكتب المقدسة عند اليهود، ولكنه تحول إلى الإسلام، وأصبح واحداً من كبار التابعين اعتمادا على خلفيته العلميّة اليهوديّة، شارك كعب في تفسير بعض الآيات القرآنية ذات الصلة بسير الأنبياء والرسل المتقدمين، وهو الأمر الذي نتج عنه فيما بعد، فتح أبواب واسعة للإسرائيليات والروايات الكتابية للدخول والاندماج والتماهي مع التفسيرات المبكرة للنص القرآني، بحيث أضحى الفصل بينهما أمراً عسيراً"[1]

ومما يروى عن عمر بن الخطاب أنه هدد كعب الأحبار وقال له: "لتتركن الحديث عن الأول **أو لألحقنك بأرض القردة**"[2].

وفي مقابل التشكيك في مرويات بعض مسلمة أهل الكتاب برزت، دعوات تنزه كل هؤلاء عن السهو والغفلة والخطأ، محذرة من عواقب المساس بشخصياتهم، سواء في جانب ضبطهم وحفظهم، أو في جانب مروءتهم وعدالتهم، وأنه يكفي في ذلك ما أحرزوه من وسام

---

1 - يسري محمد /المرجع نفسه

2 - ابن كثير اسماعيل بن عمر/البداية والنهاية ج8 - دار الفكر - بيروت -1986 م-ص 106

"التابعي"، وكونهم من أهل القرون الخيرية الفاضلة "الصحابي الكريم عبد الله بن سلام، توفي بالمدينة سنة 43 هـ

2 -كعب الأحبار، كعب بن ماتع الحميري، توفي بحمص 32 هـ.

3- وهب بن منبّه الصنعاني، توفي بصنعاء 144هـ، على خلاف.

4 - عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، توفي 150 هـ.

وينبغي الحذر من اتهام هؤلاء الأربعة بالدس على الدين، فقد كانوا من جلة العلماء، وعبد الله بن سلام صحابي مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الآخرون من مشهوري التابعين، وصف ابن حجر كل واحد منهم بأنه ثقة"[1]

ولقد ازداد الشك والتوجس من مرويات كعب الأحبار حينما "أخذت استعانة كعب بالتوراة، وبكتب اليهود في تفسير النص القرآني العديدَ من الصور والطرق، منها تلك التي تلتزم بضوابط المنهجية التاريخية، فعندما قرأ البعض أمامه ما ورد في سورة مريم:

"يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا[2]، فإن كعباً قد قال إن هارون المذكور في الآية لم يكن هو نفسه النبي هارون أخو النبي موسى، فلما كذبته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر،

---

1 - قدوري غانم / محاضرات في علوم القرآن –دار عمار للنشر - مصر- 2003م - ص193

2 - سورة مريم–الآية رقم 28

رد عليها "يا أم المؤمنين، أن كان النبي قال هذا فهو أعلم وأخبر وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة"[1]

والثابت المعلوم أن مرويات كعب الأحبار في تفسير القرآن، قد ارتبطت كثيرا بقصص الأنبياء وبعض الوقائع المتقدّمة التي ورد ذكرها بشكل مختصر في القرآن الكريم، مثل قصة هاروت وماروت[2]، وقصة بناء الكعبة، وتحديد عدد الأنبياء، وفضائل بيت المقدس والشام،

وعلاوة على كتب التفسير والقصص القرآني أيضاً، كانت أقوال وروايات كعب الأحبار "من بين المصادر الرئيسة والمهمة التي أعتمد عليها مجموعة المؤلفين المهتمّين بتدوين سيرة الأنبياء وقصصهم، ومن أبرزهم الثعلبي في عرائس المجالس، والكسائي في قصص الأنبياء"[3]

ومن الإنصاف أن نقول: ليس بالضرورة أن كل ما روي على لسان كعب الأحبار هو ثابت عنه باليقين، فهناك من الأخبار التي لم تثبت أصلا عنه فقد تم استغلال مرويات كعب الأحبار: "بسبب شخصيته ذات الملامح الغامضة والأسطورية، والتي جعلته الخيار الأول

---

1 – يسري محمد/ المرجع السابق... وفي أسفار اليهود العديد من المبالغات في القرون بين الأنبياء.

2 –ارتبطت قصة هاروت وماروت بمملكة سليمان عليه السلام التي كانت في اليمن كما سيأتي معنا ولم تكن في الشام أوفي العراق، ومن قرى اليمن القديمة قرية هاروت.

3 – يسري محمد/ المرجع السابق

للكثير من الوضّاعين والكذّابين الذين زيفوا الروايات ثم وضعوها على لسانه، لتجد بعد ذلك سبيلاً للانتشار والذيوع من خلال المدونات الحديثية والتاريخية والتفسيرية"[1]

"فعلى سبيل المثال- لما ذكر عادًا، فإنه قال (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) [2]، فأدخل المفسرون والمؤرخون في شرح هاتين الآيتين الكريمتين مبالغات، رواها كعب الأحبار ووهب بن منية، وغيرهما. ومن ثم فقد وصل إلينا من أخبارها أن رجالها كانوا طوالا كالنخل، لم يكن للطبيعة تأثير على أبدانهم لغلظتها ومتانتها، وأن عادًا إنما تزوج من ألف امرأة، كما رأى كذلك البطن العاشر من أعقابه، وكان الملك من بعده في الأكبر من ولده -وهو شديد- الذي حكم 850 سنة، ثم جاء من بعده أخوه "شداد"، حيث حكم 950 سنة، سيطر فيها على كل ممالك العالم، وبنى مدينة إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ "[3]

العرب: "العرب" إسم علم على جنس معين من الشعوب، يطلق دوما ويراد به الأمة المعروفة المعلومة بين الأمم، وإطلاق هذا الإسم عليها من الإفصاح والبيان. يقول ابن فارس: "فَأَمَّا الْأُمَّةُ الَّتِي تُسَمَّى

---

1 -يسري محمد/ المرجع السابق

2 - سورة الفجر- أية رقم 6

3 - مهران بيومي/ دراسات في تاريخ العرب القديم- ص 4

الْعَرَبُ فَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَكُونَ سُمِّيَتْ عَرَبًا مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ لِأَنَّ لِسَانَهَا أَعْرَبُ الْأَلْسِنَةِ، وَبَيَانُهَا أَجْوَدُ الْبَيَانِ. وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا، الْحَدِيثَ الَّذِي جَاءَ» " :إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بَابًا وَاحِدًا، لَكِنَّهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ." « وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا قَوْلُ الْعَرَبِ: مَا بِهَا عَرِيبٌ، أَيْ مَا بِهَا أَحَدٌ، كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ، مَا بِهَا أَنِيسٌ يُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ هُمُ الصَّرِيحُ وَالْأَعَارِيبُ: جَمَاعَةُ الْأَعْرَابِ. وَرَجُلٌ عَرَبِيٌّ. قَالَ: وَأَعْرَبَ الرَّجُلُ، إِذَا أَفْصَحَ الْقَوْلَ، وَهُوَ عَرَبَانِيُّ اللِّسَانِ: فَصِيحٌ. وَأَعْرَبَ الْفَرَسُ: خَلَصَتْ عَرَبِيَّتُهُ وَفَاتَتْهُ الْقِرْفَةُ. وَالْإِبِلُ الْعِرَابُ، هِيَ الْعَرَبِيَّةُ. وَالْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ هُمُ الَّذِينَ دَخَلُوا بَعْدُ فَاسْتَعْرَبُوا وَتَعَرَّبوا[1]

لكن ما يثير الانتباه أن مصطلح "العرب" كان نادرا قبل النزول القرآني وأن" الإطلاق العام لتسمية عرب كانت غائبة في التاريخ القديم ولم تأخذ هذا الإتساع رغم ورودها في التوراة، فالمسرح الجغرافي مسرح عشائر وقبائل ذات أسماء"[2]

ويخرج الدكتور أحمد قشاش برأي أخر، نقلا عن المؤرخين القدامى، مفاده:" أن العرب هم من ذرية إسماعيل عربا لأنهم نشئوا

1- ابن فارس أحمد بن زكرياء /معجم مقاييس اللغة ج 4 مادة ع. ر.ب –ت:عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – بيروت – سنة 1979 م – ص 300

2 – فرج الله صالح ديب /اليمن هي الأصل- ص 22

بعربة من تهامة[1]، فنسبوا إليها"[2]

الجزيرة العربية الموطن الأصلي للعرب

جغرافية الجزيرة العربية

ومساكن العرب الأولى بالأحقاف "كانت مساكنهم الشِّحْر، من أرض اليمن وما وَالى بلاد حضرموت إلى عُمَان"[3]

ومما وصل إلينا من حديث: "ابن عباس أنه قال عن جزيرة العرب: "تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن"[4]

ويصف الهمداني حدودها وامتداد أقاليمها فيقول:" أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ما روي تقطع على أربعة أقاليم، من عمران الشمال إلى الخامس، فجنوبيها: اليمن، وشماليها: الشام، وغربيها: شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى الُقلزم وفسطاط مصر، وشرقيها: عُمان والبحرين

---

1 - وادي عربة هو نفسه وادي عرفة، فقط التحوير تم بسبب ترجمة التوراة /ينظر كتاب نداء السراة- ص 321

2 - قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 304

3 - الطبري ابن جرير / جامع البيان في تأويل القرآن - ت أحمد محمد شاكر – ج 12 - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط 1 - 2000 م- ص 507

4 - ياقوت الحموي/ معجم البلدان ج2- دار صادر- بيروت ط2 – 1995م -ص 137

وكاظمة والبصرة، وموسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض"[1]

وعن سبب تسميتها بذلك يقول "وتسمى جزيرة العرب، لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل"[2]

الأوضاع السياسية للجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

كانت الجزيرة العربية:" تنقسم سياسياً إلى ثلاثة أقسام، مملكة حِمْيَر[3] اليمنية في الجنوب، تقاسي محاولات التغلغل الحبشي الذي تحول فيما بعد إلى احتلال كامل، وفي الشمال مملكتي الحيرة[4] في العراق التابع للفُرس والغساسنة في الشام التابع لبيزنطة[5]. وبين الجنوب والشمال مساحة تسكنها قبائل تأنف من الخضوع لنظام ملكي أو

---

1 – الهمداني الحسن بن أحمد/صفة جزيرة العرب ج 1– مطبعة بريل – ليدن 1884م – ص1

2 – الهمداني: صفة جزيرة العرب، ج1ص1، ويقصد بالتفاضل بعض اللهجات أفصح من بعض

3 – حمير: بكسر الحاء أقدم الشعوب القحطانية بإقليم مأرب نسبة إلى جدهم الملك "حمير بن سبا، وإسم حمير زيد، وكان أول ملك لبس التاج من الذهب مفصصاً بالياقوت الأحمر" تاريخ اليعقوبي ج1 ص 75

4 – الحيرة: بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة (العراق) على موضع يقال له النّجف.. مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه ياقوت الحموي /معجم البلدان – ج2 – ص368

5 – الغساسنة: عرب سكان فلسطين الأوائل وهم: "بنو الأزد الذين شربوا من عين غسان باليمن، وهم في طريقهم أثناء خروجهم من اليمن" المعجم الجغرافي لمنطقة عسير ج2 – ص1021

دولة خارجية مثل قريش في مكة والأوس والخزرج بالمدينة وغيرها، أو تجمعات للأعراب يعيشون في ضيق حال مما دفع كثيرا منهم لاحتراف حياة اللصوصية وقطع الطرق على القوافل"[1]

مكانة الجزيرة العربية

وعن منزلتها ومكانتها يقول الهمداني "وبها البيت الحرام، والبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، ومقام إبراهيم عليه السلام، وأم القرى، ومخرج النبوة، ومعدن الرسالة، ومبوأ إبراهيم، ومنشأ إسماعيل، ومولد محمد صلى الله تعالى عليهم أجمعين، ومقطن آل الله، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعتّاب بن أسيد[2] " إني مستخلفك على آل الله» وإليها كان يسير آدم، وبها كان قطونه، وبها أرض يثرب مهاجر النبي عليه السلام، وحرمه، ومركز الإسلام، ومقام الإمامة، وقطب الخلافة، ودار العز، ومحل الامرة، وبها الوادي المقدس طوى، وطور سيناء، ومسجد إيلياء، وآثار الأنبياء ومنابت الأتقياء، ومحافد الأصفياء، وعرصة المحشر وجبال الرحمة، ومتعلّق السيّاحة، والعبادة

---

1 - فكري وليد /مجلة رصيف 22: إيلاف قريش الاتفاقية التي غيّرت خريطة التاريخ وجزيرة العرب: https://raseef22.net/article/117445- 5 جوان2021

2 - عتَّاب بنُ أَسِيد بن أَبِي العِيصِ بن أُمَيَّة بن عَبْدِ شَمْسٍ بن عبد مناف القُرَشِي، أسلم يوم الفتح.

والسراة، القاطعة من أعلى اليمن إلى أسفل الشأم، وبها بقاع الفصاحة والصباحة واعتدال المزاج وحسن الألوان، لا الصهبة ولا الزرقة"[1]

فضائل جزيرة العرب

ويقول عن محاسنها وفضائلها أنها "..دار العز، ومحل الإمرة، وبها الوادي المقدس طوى، وطور سينا، ومسجد إيلياء، وآثار الأنبياء، ومنابت الأتقياء، ومحافد الأصفياء، وعرصة المحشر وجبال الرحمة، ومتعلّق السِّياحة، والعبادة والسراة، القاطعة من أعلى اليمن إلى أسفل الشأم، وبها بقاع الفصاحة والصباحة واعتدال المزاج وحسن الألوان، لا الصهبة ولا الزرقة، ومتوسط النبات في الشَّعر، لا القطط، ولا السَّبط، واسوداد الأحداق، واحورار المقل، مع الحميّة والأريحيّة والسخاء والكرم والجود بما تشح به الأنفس، والصبر بساعة البأس، وبها أفرس من ركب الخيل فهم لها حزم وحلاس، وأحسن من امتطى الإبل فهم لها أرباب وأقباس، وأوفى من تقلد ذمة، وأبرع من نطق بحكمة، وبها من يعد المئة بين حجة وعمرة، ومن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً غير متطَّرق وبها المسجد المؤسس على التقوى، وبها الممالك القديمة، والآثار العظيمة، مثل ناعط وغمدان، وهكر

1 - الهمداني الحسن بن أحمد/ صفة جزيرة العرب ج1ص3

وريدان، وبينون وغيمان، وبرك الغماد، وإرم ذات العماد، وجميع ما اشتمل عليه الكتاب الثامن من الإكليل"[1].

المراكز الدينية بالجزيرة العربية قبل الإسلام:

عرفت الجزيرة العربية في الجاهلية ظهور مراكز دينية متنوعة بين توحيد وشرك ونصرانية "مكة وإيلياء واللّات بأعلى نخلة، وذو الخلصة بناحية تبالة، وكعبة نجران وريام في بلد همدان، وكنيسة الباغوتة بالحيرة"[2]

عاد أول ملوك العرب بعد نوح – عليه السلام

عاد الأولى من الشعوب العربية التي ذكرت بعد الطوفان، وهم الذين ينتسبون إلى جدهم الأعلى عاد، وهو" أول من ملك في الأرض، قول هذه الطائفة، بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح، وذلك من قوله تعالى: "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة[3]"[4] .

---

1 – الهمداني الحسن ين أحمد/ صفة جزيرة العرب ج1 ص3

2 – الهمداني الحسن بن أحمد /صفة جزيرة العرب ج1 ص127

3 – سورة الأعراف– أية رقم 69

4 – المسعودي علي بن الحسين / مروج الذهب ومعادن الجوهر– ج2 – المكتبة العصرية – بيروت ط1 – سنة 2005 م – ص31

ثم جعل الله تعالى من نسل العرب البائدة الأولى[1]، أقواما خلفوا عادا، ورثوهم في الحكمة والقوة والعقل، كما ورثوهم في الرياسة والملك، وقد كانت: " نفوسهم قوية، وأكبادهم غليظة، ولم يكن في الأرض أمة هي أشد بطشا وأكثر أثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد، ولم يكن الهلك يعرض في أجسامهم، لقوة أثار الطبيعة فيها، وما وأتوه من الزيادة في تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل"[2]

يقول الأستاذ ابن عاشور:" أيْ خَلَفَ بِكم أُمَمًا مَضَتْ قَبْلَكم كَما قالَ تَعالى حِكايَةً عَنِ الرُّسُلِ في مُخاطَبَةِ أقْوامِهِمْ :"واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكم خُلَفاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ"[3]"واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكم خُلَفاءَ مِن بَعْدِ عادٍ[4]".."[5]

1 - من البداءة، أي الابتداء، وليس من الانقراض

2 - المسعودي / المصدر السابق ج2 ص 21

3 - سورة الأعراف- أية رقم 69

4 - سورة الأعراف- أية رقم 74

5 - ابن عاشور محمد الطاهر / تفسير التحرير والتنوير- ج 8 - الدار التونسية للنشر – تونس- 1984 م - ص210

كما بعث الله في الشعوب العربية القديمة أنبياء كثر إن لم نقل كلهم، ولا حجة في حديث: "أربعة أنبياء من العرب"[1]، لأنه خبر غير ثابت برأي النقاد والمحدثين.

العرب أمة واحدة لا أمما متفرقة

(وحدة الهوية العربية وأسطورة الكيانات المتعددة)

سعى الفكر الإستشراقي بشقيه الشرقي والغربي منه، ومنذ القديم عن قصد أو غير قصد، إلى البحث عن كيانات داخل أوساط المجتمع العربي الواحد، انطلاقا من تعدد اللهجات المحلية تارة، وباللعب على أوتار المصطلحات الجغرافية تارة أخرى، بغرض الوصول إلى تبرير دعوى تعدد الأعراق في الأمة الواحدة.

وقد وجد الاستعمار الحديث والخبيث ضالته المنشودة عبر ركوب مثل هذه الدعاوي التي أضحت عند البعض طروحات فكرية.

والدعاوى إن لم تقم لها بينات فأبناؤها مجرد أدعياء

ومن الطبيعي أنه لما افتقر هؤلاء إلى الحجة والبرهان، كانت نهايتهم:

كناطح صخر ليوهنها يوما فلم يستطع وأوهى قرنه الوعل[1]

---

1 - أخرجه ابن حبان في صحيحه والآجرى في الأربعون مطولا، وقال الآجرى عقبه خبر موضوع الحديث تفرد به إبراهيم بن هشام بن يحي الغساني عن أبيه وهو متروك قال ابن كثير في تفسيره ج2 ص 470: (ولا شكَّ أنَّه قد تكلم فيه غير واحد من أئمَّة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث)

ونعـني في المقـام بـروز مصـطلحات لعبـت أدوارا تمثيليـة علـى المشـهد الثقـافي واللغـوي، انخـدع بهـا الكثـير مـن العامـة والبسـطاء، ومـن الذين لم يؤتوا زادا في الأنساب والألسن..

العشـائر العربيـة الـواردة في التوراة:(الكنعـانيون –الحثيـون– العمونيون)

إن قضية الفينيقيين والكنعانيين، والآراميين، والحثيين، واليبوسيين والعمونيين، والمؤابيين والبربر، وصنهاجة، وزناتة.. وغيرها من الأسماء لا تـدل إلا علـى مسـمى واحـد، هـو الشـعب العـربي الأصـل واللسـان، وأن بعـض المستشـرقين سـعوا إلى الـنفخ في هـذه المصـطلحات مـن أجـل تضـخيمها ألاف المـرات، لتـؤدي أدوارا غـير محمـودة العواقـب، حـتى أن بعض الذين يرددونها عن حسن نية وقصد، قد لا يعي مراميها.

والمثـير للغرابـة أن يـتم تصـنيف إحـدى العشـائر العربيـة المعروفـة، على غرار "الحثيين" على أنها إمبراطورية عظيمة، مثلت حضارة هندو أوربية منقرضة... وأن المؤابيين الذين ينتمي إليهم – حسب التوراة– نـبي الله داوود، والعمـونيين، شـعوب أخـرى بنـواحي بـلاد الشـام، وأن

1 – من شعر الأعشى الكبير – موقع الديوان.

الكنعانيين[1] هم شعب فلسطين العربي الذي - بزعمهم- صارت هويته مثار جدل محير، وهكذا يتم التلاعب بتاريخ أمة بأكملها.

حقيقة الفينيقيين:

يطلق هذا المصطلح ويراد به الإنتساب إلى مملكة فنيقيا

القديمة، التي اتخذت من منطقة الهلال الخصيب موطنا لها، وقاعدة لتوسعها الاقتصادي والسياسي، ودعوى الانتساب هذه تعوزها -كما تقدم- الحجة والدليل، إذ أن جميع كتب القبائل والأنساب تخلو من ذكر قبيلة بإسم الفينيقيين أو بني فنيق[2] كما جرت عليه العادة، وحتى الفينيقيين لم يكونوا يعرفون أنفسهم بذلك، وكل ما في الأمر أن هذا الإسم أطلقه قدماء اليونان على جزء من الشعب العربي بمعنى "اللون الأحمر" وهي مجرد كلمة : " أقحمت في تاريخ لبنان القديم، إن هذه الكلمة ليست إسم مدينة أو بلاد ولاهي إسم قبيلة أو شعب لكي تصلح أساسا للانتساب إنما هي صفة في اللغة الإغريقية تعني

---

1 - يقول فاضل الربيعي: "إن الأكذوبة الفظيعة التي مررها علماء التاريخ والآثار، بزعمهم أن الفلسطينيين كنعانيون لا أساس لها أبدا" مصر الأخرى - ص 200

2 - الأصل أنهم من قبيلة بني مدحج اليمنية كما جاء ذكرهم في بعض الآثار المنسوبة للنبي - صلى الله عليه وسلم، وهم الذين سكنوا لبنان قديما.

أحمر وقد أطلق قدامى الإغريق في الغرب هذه الصفة على السفن والملاحين القادمين إليها من لبنان "[1]

وقد يكون مراد اليونانيين من إطلاق هذا الوصف على ذلك الشعب العربي لا يخرج عن أمرين أثنين: إما نسبة إلى الشعب الأحمر "الحميريين" الصفة التي لازمت قبائل قحطان منذ أن لبس جدهم الأول[2] بردة حمراء وهو الأشهر، وإما لمجاورتهم البحر الأحمر "بحر قلزيم أو كلزيم" سابقا وعن هذا يقول الأستاذ صالح ديب" إن الذين أطلق عليهم هذه التسمية ليسوا سوى يمنيين[3]

وإن كان بعضهم قد تبجح بوجود أحرف خاصة بالفنيقية، فذلك لا يعني وجود لغة مستقلة، إذ القاعدة تعدد الرسم لا يلزم منه تعدد اللغة، تماما مثلما نكتب عبارة بأحرف لاتينية ومنطوقها ومعناها عربي" إن للفنيقية حرف خاص[4] ولكن اللهجة عربية"[5]

---

1 - فرج الله صالح ديب/ اليمن هي الأصل (الجذور العربية للأسماء) – مؤسسة دار الكتاب الحديث- بيروت – ط1 – 1988 م - ص 11

2 - يرجع نسب شعب حمير إلى جدهم الأكبر الذي ينتمون له وإسمه الحقيقي هو العرنج وسمى حمير لأنه كان يحب لبس الأحمر– عاش قريبا من عهد آزر أبي إبراهيم

3 - فرج الله صالح ديب/ اليمن هي الأصل ص 11

4 - قيل عن هذه الأحرف أنها مجرد أحرف يونانية قديمة.

5 - فرج الله صالح ديب / اليمن هي الأصل ص 12

ولعل هيرودوت عندما صنفهم بالفنيق كان يقصد بهم "المعينيين" تحديدا، أي "أهل معين الجوف باليمن "، بالنظر إلى ما سرده الدكتور جواد علي من أن النصوص التي عثر عليها باليونان "ذات أهمية كبيرة كذلك، في بحثنا هذا، فإنها ترينا وصول المعينيين الجزر اليونانية وإقامتهم فيها، واتجارهم مع اليونان. ومن جملة هذه النصوص، نص مكتوب بالمعينية وبالخط المسند وباليونانية وبالحروف اليونانية، ورد فيه" هنا" أي "هانئ" و"زبد إيل من ذي خذب نصب مذبح ود وآلهة معين بدلث"أي: بـ "ديلوس" وورد في اليونانية" يا ود إله معين يا ود"[1]

ويتابع القول: "وفي هذا النص دلالة على وجود جالية معينية في هذه الجزيرة وسكناها فيها، وعلى تعلقها بدينها وبآلهتها وعدم تركها لها حتى في هذه الأرض البعيدة عن وطنها. ومن يدري؟ فلعلها كانت تتصل ببلادها، وتتاجر وتتراسل معها، تصدر إليها حاصلات اليونان، وتستورد منها حاصلات اليمن والعربية الجنوبية وإفريقية والهند وتعمل مع اليونان شركةً أو تعاوناً في أسواق التجارة العالمية ذلك العهد"[2]

---

1 - جواد علي/المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج3 - دار الساقي بيروت -ط1 سنة 2001م - ص63

2 - جواد علي/ المرجع نفسه ج13 ص63

وإذا ثبت أن الذين أريد بهم الفينيقيين ليسوا إلا شعبا يمنيا في الأصل " التسمية للفنيقيين وردت عند مؤرخي اليونان الذين أكدوا لهم أنهم – أي الفينيقيين – قد قدموا من البحر الأحمر"[1] فإنه في هذه الحالة قد تطرح عدة فرضيات، أهمها أن الفينيقيين هم على وجه التحديد "المعينيون" – أي (أهل معين باليمن) الذين اتخذوا من مدينة قرنو (قرن) عاصمة لهم– وقد كان لهم توسع اقتصادي وتجاري مرموق.

ويرى جواد علي أن المعينين الذين سيطروا بتجارتهم على أقاليم أخرى أيضا " فنزلوا في هذه الأرضين التي تقع اليوم في أعالي الحجاز وفي المملكة الأردنية الهاشمية وفي جنوب فلسطين. ومنهم من تاجر مع بلاد الشام والبحر المتوسط ومصر. بدليل عثور المنقبين على كتابات معينية في جزيرة "ديلوس" من جزر اليونان، وفي مصر: في "الجيزة" وفي موضع "قصر البنات". وظهر من كتابة "الجيزة" المؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من حكم "بطلميوس بن بطلميوس"، أن جالية معينية كانت في مصر في هذا الزمن، ولعلها من أيام حكم "بطلميوس الثاني"[2]

وما يعزز هذه الفرضية أن من الأسر التي حكمت جزءا مما أصطلح عليه مملكة فنيقيا قديما، وإليها ينسب تأسيس مدينة قرطاج

---

1 – فرج الله صالح ديب /اليمن هي الأصل ص 79
2 – جواد علي / المرجع السابق ج3ص120

أسرة "ديدان" أو "ديدون" الأرستقراطية التي تبوأت عرش الاقتصاد الدولي "ويرى أكثر الباحثين في دولة معين أن هذه المنطقة منطقة "الديدان"وما صاقبها من أرض، كانت جزءًا من تلك الدولة وأرضًا خاضعة لها، وأن ملوك معين كانوا يعينون حكامًا عليها باسمهم"[1]

وأن هذا النشاط التجاري والاقتصادي الذي مارسه المعينيون وبلغوا به هذه الأقطار كان "في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بتجهيز معابد مصر بالبخور، ويرجع بعض الباحثين تأريخ هذه الكتابة، إلى السنة 263 -264"ق. م"[2]

ولم يكن ذلك التفوق المحرز في المجال الاقتصادي الدولي مقتصرا على منطقة الهلال الخصيب وحدها، فقد امتد إلى أقاليم شتى من جزيرة العرب، ناهيك عن الشمال الإفريقي. وترك المعينيون بصماتهم الثقافية في كل البقاع التي حلوا بها. وفي هذا السياق " عثر على كتابات معينية خارج اليمن، ولا سيما في موضع "العلا"، وبينهما عدد من كتابات "لحيانية" متأثرة باللهجة المعينية. وقد وردت فيها أسماء معينية معروفة، شائعة بين المعينيين، مثل "يهر" و"علهان"،

---

1 جواد علي /المرجع السابق ج3 ص121

2 - جواد علي / المرجع نفسه ج3 ص119

و"ثوبت" و"يفعان[1]"كما وردت فيها أسماء آلهة معين، وذلك يدل على نزول المعينيين في هذا الموضع وفي الأرضين المجاورة أمدًا، وتركهم أثرًا ثقافيًّا فيمن اختلطوا بهم أو جاوروهم وفيمن خلفهم من خلق"[2]

وأما قصة أليسا التي تردد ذكرها كثيرا، وارتبط إسمها بتأسيس مدينة قرطاج، فلم تسلم هي الأخرى من الإنتقاد اللاذع والشديد إلى درجة أنها وصفت بالأسطورة التي تفتقر إلى مقومات تأكيدها.

وأما "موضع "العلا" المذكور، هو موضع "ديدان" "الديدان" "علات Ulat" في التوراة، وقد قصد به فيها شعب عربي من الشعوب العربية الشمالية، يرجع نسبه إلى "كوش" كما جاء في موضع من "التكوين"[3]

"ومعنى هذا أن دولة معين، كانت تحكم من معين كل ما يقال له الحجاز في عرف هذا اليوم إلى فلسطين، وأن هذه الأرضين كانت خاضعة لها إذ ذاك"[4]

---

1 – يفعان أو يافع مدينة عربية قديمة ومنها اشتق إسم "يافا" بفلسطين وهناك قبيلة تحمل إسم يافع جنوب تعز 30كلم

2 – جواد علي /المرجع السابق ج3 ص120

3 – جواد علي/ المرجع نفسه ج3 ص 120

4 – جواد علي / المرجع نفسه ج3ص 121

والحاصل "أن من يسموا فنيقيين ليسوا إلا أجدادنا عرب الحضارة اليمنية الأقدم في المنطقة قاطبة "[1]

والواقع " أن كل ما رسم من تاريخ عن الأموريين والكنعانيين وبالتالي الفينيقيين إنما دخل في الظن والهوى"[2] وأن الذين ظن بهم شعوبا عمونيين وموؤابيين ليسوا سوى قبيلتين يمنيتين وهما بني عمون وبني موؤاب بقرية المحرس محافظة تعز"[3]

" إن السريانية لهجة من اللهجات العربية ذات قرابة باللهجات اليمنية القديمة "[4]

وكذلك بني حث أو "الحثيين"" قبيلة باليمن إلى اليوم محلة حثان أرض الميعاد – العدين – محافظة إب[5] .

وذكرت كتامة في التوراة بصيغة "كتيم" قبيلة يمنية من ولد مرة بن عبد شمس[6].

---

1 – فرج الله صالح ديب اليمن هي الأصل / مقدمة الكتاب

2 – فرج الله صالح ديب ا/ليمن هي الأصل / مقدمة كتاب

3 – ينظر كتاب معجم البلدان والقبائل اليمنية –المقمحي إبراهيم– الجيل الجديد ناشرون – صنعاء – سنة 2011

4 – فرج الله صالح ديب / اليمن هي الأصل / مقدمة الكتاب

5 –ينظر كتاب المفصل لجواد علي وفرج الله صالح ديب التوراة العربية و المقمحي إبراهيم معجم المدن اليمنية.

6 – فرج الله صالح ديب/ التوراة العربية ص 103

وأما "بنو حيثم" في التوراة العبرية فهم أنفسهم بنو حث[1]

وأما اليبوسيون فهم المنتسبين إلى:" بوسان: بلدة عامرة من أرض الخشب بأرحب وبوسان: قريتان فى مخلاف البحباحة من ناحية رجوزه وأعمال برطوبيت بوس: بلد وحصن بالجنوب الغربي من صنعاء مسافة 5 ك.م وفى هذه المنطقة بلد دار سلم[2]

وقيل إن اليبوسيين نسبة إلى جبل يابس، يبوس محافظة إب، أي العشائر المقيمة به. ولا يزال حي قائم بضواحي صنعاء محافظا على الإسم التاريخي المعروف به في التوراة وفي كتب التاريخ "**بيت بوس** "وهو يتبع إدارياً مديرية سنحان.

ومن العجب والغرابة أن صرنا نسمع ببيت بوس أو يبوس عاصمة للملكة قديمة أو لشعب إسمه الكنعانيين، والحقيقة أن الذين جاء وصفهم "**بالكنعانيين**" فليسوا سوى **كنانيين** (أي قبيلة بني كنانة العربية)[3]

وطبيعي أن يؤول الأمر إلى هذا المستوى- المضحك تارة، والمحزن تارة أخرى – لطالما كان الانطلاق بالأساس خاطئا، ذلك "أن

---

1 - جواد علي / المرجع السابق ج 4 ص 45 فرج الله صالح ديب التوراة العربية ص 103، 136

2 - المقحفي إبراهيم / المرجع السابق.

3 - قشاش أحمد بن سعيد/المرجع السابق ص 324. وفرج الله صالح ديب / التوراة العربية ص 88

التأريخ الذي كتب لنا من الغرب والأبحاث الأثرية التي حققها، كان منطلقها التوراة المدونة في القرن السابع الميلادي"[1]

المفاخرة بين العدنانيين والقحطانيين

والشعوب العربية من حيث النسب هي في الأصل قسمان: قحطانيون وعدنانيون.

عرف العدنانيون في التاريخ باسم عرب الشمال، في حين عرف القحطانيون باسم عرب الجنوب أو عرب اليمن.

وكما انتقلت قبائل اليمن إلى أقطار شتى من العالم، تنقل أيضا العدنانيون وبالأخص منهم القرشيون، والأدارسة، والسليمانيون، بعد الفتوحات الإسلامية إلى مختلف الأقطار لاسيما بلدان المغرب العربي والأندلس.

وفي أدبيات التاريخ نقرأ سجالا لسانيا طويلا وقع بين الفريقين: العدنانيين والقحطانيين- دوافعه الفخر والنرجسية وادعاء التفوق والأفضلية في المكاسب والنسب والمواقف التاريخية القديمة، وقد لوحظ ذلك جليا وملموسا في مختلف نصوص الأدب العربي نثره وشعره.

ولأن طائفة اليهود الذين تحدث عنهم القرآن الكريم كانت كلها

---

1 - فرج الله صالح ديب / اليمن هي الأصل ص 6

من عرب الجنوب (القحطانيين)، سواء منهم الذين بقوا باليمن ولم ينزاحوا عنه حتى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، أم الذين ارتحلوا وتنقلوا منه نحو فلسطين والشام أو أرض الحجاز، على غرار بني قريظة وخيبر وبني النضير وبني قنيقاع، وهؤلاء اليهود العرب هم الذين رفض أكثرهم الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم –رغم أنهم انتظروا ظهوره مدة طويلة– لسبب واحد فقط: اختتام النبوة في غير ما كانوا يتوقعون، كما أخبر عنهم القرآن الكريم ذلك.

وتفاخر العرب بأيام آبائهم في الجاهلية كان يقع حتى أثناء مناسك الحج الذي لم تنقطع مواسمه البتة منذ أن أذن إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج " فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ)[1]

وذلك بعدما كانوا يجلسون في مكة أو في منى بعد الفراغ من المناسك فيذكرون خصال الآباء والأجداد وثرواتهم والبطولات التي خاضوها.. فحثهم " على الخير عقيب النهى عن الشر، وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البرّ

1 – سورة البقرة – أية رقم 200

والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة. أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه"[1]

ولقد أدرك نبي الله صلى الله عليه وسلم خطورة هذه الدعوى التي صنفها ضمن دعاوي الجاهلية[2] ووصفها بالنتنة[3]، وسارع إلى وأدها في مهدها، واستئصال شأفتها قبل وقوعها، عن طريق المؤاخاة الشهيرة بين المهاجرين (العدنانين) والأنصار (اليمنيين) فور وصول أولى الطلائع للمهاجرين إلى عاصمة الدولة النبوية الناشئة، فكان لكل يمني الأصل أخا له من قريش.

والواضح من هذا العمل أن النبي أراد أن يدفن أثار الجاهلية وتراكمات الماضي العصيب، وما حمل في طياته من مآس ليبعث من جديد أمة تجعل من روابط الإيمان أسمى مراتب القرب والمحبة.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بذل جهدا في لم الشمل ورأب الصدع بين أبناء الأمة الواحدة، الذين جمعتهم عقيدة واحدة، وإيمان واحد فضلا عن وحدة اللسان والعرق، إلا أن فتنة

---

1 – الزمخشري محمود / المصدر السابق ج1 – ص 244

2 – فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: ما بَالُ دَعْوَى أهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قالَ: ما شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بكَسْعَةِ المهَاجِرِيّ الأنْصَارِيَّ، قالَ: فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعُوهَا؛ فإنَّهَا خَبِيثَةٌ "جزء من حديث متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله.

3 – هذا في صحيح ابن حبان أما في البخاري فجاء بلفظ "خبيثة "كما رأينا.

المفاضلة والمفاخرة أطلت برأسها من جديد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وانقضاء عصر الخلفاء الراشدين.

فلما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، دخل عليه رجل من أهل اليمن فسأله معاوية: "من أين الرجل قال من مأرب، قال وممن قال من سبأ، قال أنت من الذين بدلوا نعمة الله كفرا فأبدلهم الله بجنتيهم جنتين ذواتا أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، قال إني لمن تلك البلدة، ومن نسل أولئك القوم، ولكنك يا معاوية من القوم الذين قالوا لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم : (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[1] وأنا من أهل الجنة التي وصفها الله والعرش الذي عظمه الله، وأنتم أهل النجعة التي صغرها الله وذمها بمخمصتها وجوعها فقال لإيلاف قريش ....السورة"[2]

ولما نزل أبو العباس السفاح باليمن حضر مجلسه إبراهيم بن مخرمة وخالد بن صفوان "وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا[3] فحضر عنده ذات ليلة إبراهيم بن

1 – الآية 32 من سورة الأنفال، والذين طلبوا من الله هذا هم جماعة من قريش قبل إسلامهم.
2 – الهمداني الحسن بن أحمد /الإكليل ج2 ص182
3 – افتعال الجدل بين الرجال الحاضرين

مخرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الأهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر [1] واليمن فقال إبراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين أن أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر، وآخر عن أول، منهم النعمان والمنذر، ومنهم عياض صاحب البحرين، ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا [2]، وليس من شيء له خطر إلا إليهم ينسب إن سئلوا أعطوا، وإن نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة.

فقال له السفاح: ألا تتكلم يا خالد؟ فقال: أخوال أمير المؤمنين[3] وعصبته وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، وراكب عرد، دل عليهم هدهد، وملكتهم امرأة،

وغرقتهم فأرة، قد أخطأ المقتحم بغير علم، نطق بغير صواب، وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة، ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب، ولا جاءت بها سنة، يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر، ونفتخر عليهم بخير الأنام، وأكرم الكرام سيدنا محمد فلله المنة به علينا وعليهم، فمنا النبي المصطفي والخليفة المرتضي، ولنا البيت المعمور

---

1 – قبيلة مضر هي قريش نسبة إلى جدهم الذي يسمى قريش

2 – يشير إلى ماورد في سورة الكهف، وهو أحد الفراعنة الذين كانوا بساحل عمان.

3 – أبو عبد الله السفاح أول خلفاء بني العباس 132– 136 هـ وهو من أم يمنية حميرية

وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر، ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا، والولي وأسد الله وسيد الشهداء، وبنا عرفوا الدين، وأتاهم اليقين، فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه"[1]

ومما روي من أشعار المفاخرة في الباب

أن عبد الخالق بن أبي الطلح هجا بني النضر (قريش) فقال:

بني النضر إذ كنتم تجارا أذلة ... ونحن ملوك لا نبيع ولا نشري
رعايا بأطراف البلاد بيوتكم ... مطايا لأكوار المذلة والقسر
وأما نبي الله لإن تفخروا به ... فنحن به أولى وبالركن وبالحجر
لما كان يوم بدر وخيبر ... ويوم حنين من بلاء ومن صبر

وفي معرض هجاء بني عدي يرثي أخر حالة اليمن والوضع الذي آل إليه بعد عز دهور:

فيا يمنا أبعد العز ذل ... وبعد الذل يفترش الوطاء
ويا يمنا لئن تركت عدي ... ما ارتكبوا لقد عظم البلاء

ويقول أيضا معرضا بهم

أليس من انقلاب الدهر أني ... رأيت النمر تفرسه الحداء
فأعجبني وذا عجب عجيب ... ليوث الغاب تفرسهن شاء

---

1 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج2 ص 313، وقد ذكر هذه القصة غير واحد، منهم صاحب العقد الفريد، وصاحب المستطرف

أتفخـــر بالمجـــوس علـــى ملـــوك حصـــونهم الأســـنة والنصـــال
أتهجـــو التبعيـــين ودار رعـــين أصـــاح أنـــت أم غالـــك غـــول[1]
قبائـــل يعـــرب بعضـــها لـــبعض وأنـــتم لا الرديـــف ولا الزميـــل
لنـــا مجـــد نطـــول بـــه وفخـــر تـــزول الراســـيات ولا يـــزول
فـــأين مفـــاخر بأب وجـــد كأجـــدادي وأيـــن لهـــم عـــديل

1 - غالك غول اثر علي عقلك غول فصرت لاتدري ماتقول، على نحو أصابك مس من الجن

الفصل الثاني

القضايا التاريخية في المجتمع العربي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

أولا: المجتمع القرشي وأهم قضاياه التاريخية قبل البعثة النبوية:

لشرف قريش ومنزلتها العظيمة بين قبائل العرب، أثرت أن تكون بداية الحديث عن تاريخ العرب من هناك، فهم الأفصح لسانا والأعظم منزلة، وهم أهل النبي وخاصته، وهم أهل الحرص على مناسك إبراهيم كما سنرى، وفيهم بيت النبوة وسوق الشعر ودار البلاغة.

وكي لا يطول الموضوع أكثر من المطلوب، رأيت الاكتفاء بقضيتين من أبرز القضايا التاريخية التي سجلت عند قريش قبل الإسلام: تكتسي الأولى طابعا تعبديا منسكيا بحتا، متمثلة في تعظيم بيت الله الحرام، وإكرام زواره، وخدمة قاصديه من الحجاج والمعتمرين.

فيما تكتسي الثانية الطابع الاقتصادي الاجتماعي، المتمثل أساسا في عقد الإيلاف، الذي بفضله استرجعت مكة المكرمة قوتها الاقتصادية الإقليمية والدولية.

01- تعظيم البيت وخدمة الحجيج

مكة المكرمة هي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وهي البقعة المباركة التي نجا الله فيها إبراهيم ولوطا، وهي الأرض المقدسة[1]

تعظيم البيت والبلد الحرام

من عجيب المفارقات التي لوحظت في تاريخ العرب أيام الجاهلية أنهم على الرغم مما كانوا عليه من الضلال المبين، والانحراف الواضح في موضوع العقيدة والتوحيد، إلا أن موقفهم مع بيت الله الحرام والبلد الأمين يختلف، فهو مما يضرب به المثل في الإجلال والاحترام، حتى نقل الكثير من الكتاب عنهم في السير والتواريخ صورا مشرفة، ومواقف تستحق الذكر، وتبين أنهم كانوا على قدر كبير من التعظيم اتجاه البيت العتيق والبلد الحرام.

02- مظاهر تعظيم البيت الشريف والبلد الحرام

الدخول إلى الكعبة المشرفة حفاة

من الصور التي احتفظت بها الذاكرة التاريخية للعرب أنهم كانوا "يفتحون الكعبة يوم الإثنين والخميس، وكان الحُجاب يجلسون عند الباب، فيرتقي الرجل فإذا كانوا لا يريدون دخوله يُدفع ويُطرح، فربما

1 – هكذا هي أوصافها في آيات الكتاب العزيز.

عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء – يعظمون ذلك– ويضعون نعالهم تحت الدرجة، وأول من خلع الخفّ والنعل فلم يدخل بهما الوليد بن المغيرة؛ إعظامًا لها، فجرى ذلك سُنة"[1]

تحريم السكن بساحة الكعبة ومحيطها

ومن تعظيمهم للبيت أيضا أنهم: "كانوا يحرمون أن يسكنوا مكة، ويعظمون أن يبنوا بها بيتًا، وكانوا يكونون بها نهارًا فإذا جاء الليل خرجوا إلى الحل، ولا يستحلّون الجناية بمكة، فأذن لهم قصي أن يبنوا في الحرم، وقال لهم: إنكم إن سكنتم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم. فقالوا: رأينا تبعٌ لرأيك وأنت سيدنا؛ فابتدأ وبنى دار الندوة، وهي أول دار بُنيت بمكة – والندوة في اللغة الاجتماع– فكانوا لا يعقدون أمرًا من الأمور إلاّ فيها، ولا يدخلها من غير ولد قصي إلاّ من جاوز الأربعين، فسمي قصي مجمعًا لجمعه لقومه"[2]

تحريم مضاهاة الكعبة الشريفة في البنيان

ومن صور تعظيمهم للكعبة المشرفة أنهم كانوا يتجنبون البناء المشابه للبيت فكانوا "يبنون بيوتهم مدورة تعظيمًا للكعبة،

1- عمر بن فهد نجم الدين /إتحاف الورى بأخبار أم القرى ت. محمد شلتوت ج 1- جامعة أم القرى – مكة المكرمة- سنة 1988 م- ص151-152

2 – عمر بن فهد نجم الدين /المصدر نفسه ج1 ص269

فأول من بنى بيتًا مربعا حميد بن زهير، فقالت قريش: ربّع حميد بيتا إما حياة وإما موتا"[1]

تحريم الطواف بلباس الحل

وبالغوا في التعظيم حتى حرموا على الناس الطعام واللباس الذي أتوا فيه من بلدانهم الأصلية، وقالوا لا نقبل أن يطوف الحاج أو المعتمر بلباس الحل في أرض الحرم، وفي الشهر الحرام، وهم يقصدون موسم الحج في ذي الحجة، وفرضوا:" على العرب أن لا يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاؤوا حجاجا أو عمارا ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس،[2] فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة ...."[3]

---

1 – جمعية مراكز الإحياء/ تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام مكة المكرمة https://makkah.org.sa/ 2021

والمعنى أنهم تشاءموا مما فعل وخافوا عليه، وهو ما يعكس شدة تجنبهم من تشبيه الكعبة في البنيان.

2 – الحمس: اللباس الخاص بأهل مكة (قريش)

3 – – مهران بيومي / دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب ج1 – دار النهضة العربية– بيروت ط 2 – سنة 2015 م– ص 221. والذي حملهم على الطواف بالبيت عراة أنهم لم يجذوا اللباس المخصص للحرم

وبقي الأمر عندهم على ذلك الوضع حتى جاء الإسلام ونهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)[1]

ومن إجلالهم للبيت العتيق أيضا، أن خطب المكلف بإعادة بناءه قبل البعثة: "يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مكاسبكم إلا طيبا، ولا تدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس"[2]

ومن الصور التي احتفظت بها الذاكرة التاريخية للعرب أنهم كانوا " يفتحون الكعبة يوم الإثنين والخميس، وكان الحُجاب يجلسون عند الباب، فيرتقي الرجل فإذا كانوا لا يريدون دخوله يُدفع ويُطرح، فربما عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء – يعظمون ذلك- ويضعون نعالهم تحت الدرجة، وأول من خلع الخفّ والنعل فلم يدخل بهما الوليد بن المغيرة؛ إعظامًا لها، فجرى ذلك سُنة"[3]

ثانيا: إيلاف قريش

وأما فيما يتعلق بالقضايا التاريخية ذات الطابع العملي في شقه الاقتصادي والاجتماعي، التي أشارت إليها نصوص القرآن الكريم،

---

1 - سورة الأعراف أية رقم 31

2 - مهران بيومي / المرجع السابق ج1 ص225

3- عمر بن فهد نجم الدين / المصدر السابق ج1ص151-1521

تبرز إلى الواجهة قضية إيلاف قريش، المتمثلة أساسا في عقد الأمان، أو عهد الحماية، الذي ضمن أمن وسلامة رحلات قريش الاقتصادية والتجارية كما جاء ذلك صريحا، في السورة التي سميت بأعظم حي من أحياء العرب في الجاهلية والإسلام (قريش).

معنى الإيلاف

"والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف وإنما هو أمان الناس، وعلى أن قريشا تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها، ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم،"[1]

وقد ورد مصطلح الإيلاف في أشعار الجاهلية بنفس المعنى المراد في السورة، منها ما جاء على لسان مطرود بن كعب الخزاعي[2] في قصيدته التي رثى بها عبد المطلب وبني عبد مناف عموما:

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ	هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ
هَبَلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ	ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ
الْخَالِطِينَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ	حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

1 – ابن حبيب البغدادي / المنمق في أخبار قريش – عالم الكتب– بيروت ط– 1985 م ص 42

2 – مطرود بن كعب الخزاعي/شاعر جاهلي فحل، لجأ إلى عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف، لجناية كانت منه فحماه وأحسن إليه، فأكثر مدحه ومدح أهله، الترجمة منقولة عن موقع الديوان العربي

الْمُنْعِمِــينَ إِذَا النُّجُــومُ تَغَــيَّرَتْ وَالظَّــاعِنِينَ لِرِحْلَــةِ الْإِيــلَافِ
وَالْمُطْعِمِـينَ إِذَا الـرِّيَاحُ تَنَاوَحَـتْ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ
إِمَّا هَلَكْتَ أَبَا الْفِعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نِطَافِ
إِلَّا أَبِيـكَ أَخِـي الْمَكَـارِمِ وَحْـدَهُ وَالْفَـيْضِ مُطَّلِبِ أَبِي الْأَضْـيَافِ[1]

بنود عقد الإيلاف

ولكي تتضح صورة هذا العهد التاريخي الذي تم بين قريش وبين كبرى الأمم حينذاك، والذي مكن لهم حرية وسلامة سير القوافل التجارية ذهابا وإيابا باتجاه مدن وأسواق كل من الشام والعراق واليمن، سعيا لضمان العيش وأملا في تحقيق الرخاء و الإنعاش الاقتصادي، كان لابد من الوقوف على الأسباب والظروف التي اضطرت أل عبد مناف وهم سادة قريش وكبرائهم بالمبادرة إلى هذا الاتفاق مع ملوك الأعاجم من الفرس وبيزنطة والحبشة، ومعلوم أن هذه الدول كانت تمثل كبرى القوى السياسية والاقتصادية في العالم آنذاك، ثم النظر في طبيعة العقد ومآلاته و أهدافه ومراميه، وصولا في

1- ابن هشام عبد الملك بن أيوب/ السيرة النبوية ج1 –ت مصطفى السقا – مكتبة مصطفى الحلبي– مصر ط2 – 1955م –ص 178 والأبيات رويت بصيغة أخرى في تاريخ اليعقوبي وفي مناسبة أخرى

الأخير إلى الثمرات التي أنتجها حلف قريش والمحققة في قوله تعالى: (ٱلَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)"[1]

لقد اتسمت طبيعة المجتمع القرشي بالشعور بالإباء والأنفة، كونهم من كنانة الذين اصطفاهم الله تعالى من أل عدنان ومن العرب قاطبة "وكانوا يرون لأنفسهم ميزة لا يتطاول عليها غيرهم من العرب، لأنها تتصل بكرامة البيت الحرام وحرمته، فهم أهله وأولياؤه، وهم سدنته والقائمون بالأمر فيه، يسقون الحجيج ويطعمونهم، ويوفرون لهم الأمن والراحة"[2]

كل ذلك جعل منهم مجتمعا يأبى الرضوخ للسيطرة الأجنبية، التي قد تِؤدي بهم حتما في النهاية إلى الانضواء تحت احتلال واحدة من إمبراطوريات العالم الثلاث سيما وقد لاحظوا ما جرى لبني عمومتهم في الشام والعراق واليمن، وكيف أل أمرهم، لما وقعوا تحت وطأة احتلال الدول الثلاث فارس وبيزنطة والحبشة.

ومما عزز شعورهم بالإباء أيضا، نظرة الشعوب والقبائل الأخرى إليهم، نظرة إجلال ومهابة يقول القرطبي "وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا

---

1 - سورة قريش أية رقم 4- 5

2 - مهران بيومي / المرجع السابق ج1 ص 219

كَانَتْ تَخْرُجُ فِي تِجَارَتِهَا، فَلَا يُغَارُ عَلَيْهَا وَلَا تُقْرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. يَقُولُونَ هُمْ أَهْلُ بَيْتِ الله عز وجل"[1]

ويذكر أصحاب السير والتواريخ أنه أصاب مكة سنين وقحط حتى "كانُوا يَعْتَرِيهِمْ خَصاصَةٌ، فَإذا لَمْ يَجِدْ أهْلُ بَيْتٍ طَعامًا لِقُوتِهِمْ حَمَلَ رَبُّ البَيْتِ عِيالَهُ إلى مَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ خِباءً وبَقُوا فِيهِ حَتّى يَمُوتُوا جُوعًا، ويُسَمّى ذَلِكَ الإعْتِفار[2]

كان هذا السبب كافيا ليدفع بهشام بن عبد مناف إلى التفكير في إبرام اتفاقية مع قياصرة الروم علها تكون سببا في حلحة الأزمة الاقتصادية التي ألمت بأم القرى ومن حولها، وإعادة بعث النشاط الاقتصادي وتفعيل وتيرته من جديد.

وفي الأخير قرر التوجه نحو شمال الجزيرة، قاصدا قيصر بيزنطة نفسه، وكان هاشم حكيما شهما ذا بصيرة تامة بأسواق بصرى وغزة والشام والعراق، وطرقهما بحكم الضرب فيها سنين طويلة، وجولانه بربوعها وأقاليمها.

---

1 - القرطبي أبو عبد الله / الجامع لأحكام القرآن -ج20 - دار الكتب المصرية – القاهرة- ط2 – 1964م- ص200

2 - ابن عاشور محمد الطاهر / المصدر السابق ج30ص 558

وتذكر بعض الروايات أن هاشما كلما دخل سوقا من أسواق الشام "يذبح كل يوم ذبيحة ويصنع طعاماً لكل القافلة، وهو أمر ملفت للنظر، حتى بلغ صنيعه قيصر الروم الذي طلب إحضاره إليه ولقاءه"[1]

ويروي ابن النجار أنه لما أذن قيصر بيزنطة لهاشم بالدخول عليه بقصر الإمبراطورية خاطبه قائلا: " أيها الملك! إن لي قوما وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتابا تؤمّنهم وتؤمّن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم. فاستجاب ملك بيزنطة لطلب هاشم وكتب له "كتاب آمان لِمَن يَقْدَم منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فجعل كلَّما مرَّ بحيٍّ مِنَ العَرَب بطريقِ الشَّام؛ أخَذَ من أشرافهم إيلافاً "[2]

ومما وصل إلينا من بنود المعاهدة (الإيلاف):"على أَن قريشاً تحمل إليهم بضائع فيكْفُونهم حُمْلانها ويؤدُّون إليهم رؤوسَ أموالهم وربْحَهم"[3]

ولما عاد هاشم إلى قومه ودخل، مكة فرح قومه به وبادر هو نفسه بالشروع بتنفيذ الاتفاق، فكان أول من خرج في قافلة عظيمة

---

1 – فكري وليد / المرجع السابق

2 – ابن حبيب البغدادي / المرجع السابق ص44

3 – الأفغاني سعيد/ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام- دار الفكر – بيروت – ص 156

"يُجَوِّزهم يُوفِّيهم إيلافهم الذي أُخِذَ لهم من العَرَب حتى أورَدهم الشَّام وأحلَّهم قُراها، ومات في ذلك السَّفر بغزَّة"[1]

اتساع رقعة الإيلاف

وما إن بدت بواكير مبادرة هاشم تلوح في الأفق، حتى سارع أخوته الثلاث إلى السير على خطاه، والاحتذاء حذوه، فأبرم كل واحد منهم عقدا مع بقية الملوك فأخذ :"عَبْدُ شَمْسٍ مِن نَجاشِيِّ الحَبَشَةِ وأخَذَ المطَّلِبُ مِن مَلِكِ اليَمَنِ، وأخَذَ نَوْفَلٌ مِن كِسْرى مَلِكِ فارِسَ، فَكانُوا يَجْعَلُونَ جُعْلًا لِرُؤَساءِ القَبائِلِ وساداتِ العَشائِرِ يُسَمّى الإيلافَ أيْضًا، يُعْطُونَهم شَيْئًا مِنَ الرِّبْحِ ويَحْمِلُونَ إلَيْهِمْ مَتاعًا ويَسُوقُونَ إلَيْهِمْ إبِلًا مَعَ إبِلِهِمْ لِيَكْفُوهم مَئُونَةَ الأسْفارِ وهم يَكْفُونَ قُرَيْشًا دَفْعَ الأعْداءِ، فاجْتَمَعَ لَهم بِذَلِكَ أمْنُ الطَّرِيقِ كُلِّهِ إلى اليَمَنِ وإلى الشّامِ، وكانُوا يُسَمَّوْنَ المجِيرِينَ"[2]

ومع مر الأيام، تطور الإيلاف تطورا لم يشهد له مثيل، وقفز" قفزة واسعة، إذ أنه بدأ كمشروع بين طرفين هدفه خدمة قبيلة واحدة في بلدة واحدة، ثم اتسع ليمثل شبكة تجارية واسعة ونشاطاً إنسانياً كبيراً تداخَل مع الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية والثقافية

---

1 – فكري وليد / المرجع السابق

2 – ابن عاشور محمد الطاهر / المصدر السابق ج30 ص589

بشكل عميق ومؤثّر. فمجرد تتبع مختلف أوجه حياة العربي قبل الإيلاف ومقارنتها بها بعده يجعلنا نقف على الأثر العظيم لهذا النظام الذي يمكن أن نصفه بالمبتكر بمقاييس عصره، والذي ساعد بشبكة التواصل التي شكلها، في انتشار ثقافة مكّة إلى كامل المنطقة"[1]

وتذكر الروايات أن القوافل التجارية كانت تتراوح أحيانا "من 1500 إلى 2500 بعير، تجوب العراق والشام واليمن والجزيرة محملة بالسلع الداخلية لجزيرة العرب كالأصواف والثياب والأسلحة والجلود، أو تلك المستوردة من خارجها كالعطور والبخور من الهند والمنسوجات الكتانية من مصر والخمور الشامية الشهيرة، وغيرها"[2]

ثمرات الإيلاف:

وانتهى الإيلاف الذي تم بين قريش والأطراف الدولية الفاعلة آنذاك، إلى الاتفاق على تنظيم رحلتين عظيمتين شهيرتين، تنطلق الأولى من مكة في فصل الشتاء باتجاه اليمن مرورا بمختلف قبائل حمير وصولا إلى تخوم الحبشة[3] بالقرن الإفريقي الشرقي، بينما تنطلق الثانية

---

1 -فكري وليد / المرجع السابق

2 - فكري وليد/ المرجع السابق

3 - الحبشة: ثالث الإمبراطوريات التاريخية العالمية بعد كل من الفرس وبيزنطة وقد كانت بالقرن الشرقي الإفريقي

باتجاه الحيرة في العراق، مرورا بقبائل المناذرة[1] التي خضعت للاحتلال الفارسي، وباتجاه الشام مرورا بقبائل الغساسنة المحتلة من طرف روم بيزنطة وصولا إلى مدينة بصرى[2]،على أن تمنع القبائل العربية من الغارات على قوافل قريش، وفي المقابل تفتح مكة أسواقها للبضائع الدولية.

"وهاتانِ الرِّحْلَتانِ هُما رِحْلَةُ تِجارَةٍ ومِيرَةٍ كانَتْ قُرَيْشٌ تُجَهِّزُهُما في هَذَيْنِ الفَصْلَيْنِ مِنَ السَّنَةِ إحْداهُما في الشِّتاءِ إلى بِلادِ الحَبَشَةِ، ثُمَّ اليَمَنِ يَبْلُغُونَ بِها بِلادَ حِمْيَرَ، والأُخْرى في الصَّيْفِ إلى الشّامِ يَبْلُغُونَ بِها مَدِينَةَ بُصْرى مِن بِلادِ الشّامِ"[3]

تبوأت مكة المكرمة بعد هذا المكسب التاريخي العظيم، مبوءا اقتصاديا مرموقا علاوة على مركزها الديني لعالمي، وأضحت مدينة تجارية بامتياز، ومقصدا لمختلف القوافل الدولية التجارية، فجمع الله لها بين المرتبتين الدينية و الدنيوية، وتحقق لها من دعوة الخليل بالأمن والثمرات ما لم يتحقق لغيرها، فأمها من كل حدب التجار والمستثمرون، وصارت:" سُفُنِ الحَبَشَةِ في البَحْرِ إلى جَدَّةَ تَحْمِلُ الطَّعامَ

---

1 – المناذرة: "المناذرة ملوك الحيرة والعراق" قبل الإسلام من قبيلة لخم اليمنية ومن لخم جاء معنى بيت لحم التي هي في الأصل بيت لخم أي منزل اللخميين. الزركلي خير الدين / الأعلام ج7 ص295

2 – بصرى الشام: "من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، ذكرها كثير في أشعارهم" ياقوت الحموي / معجم البلدان ج1 ص441

3 – ابن عاشور محمد الطاهر / المصدر السابق ج 30ص558

لِيَبِيعُوهُ هُناكَ، فَكانَتْ قُرَيْشٌ يَخْرُجُونَ إلى جَدَّةَ بِالإِبِلِ والحُمُرِ فَيَشْتَرُونَ الطَّعامَ عَلى مَسِيرَةِ لَيْلَتَيْنِ، وكانَ أهْلُ تَبالَةَ وجُرَشَ مِن بِلادِ اليَمَنِ المُخْصِبَةِ يَحْمِلُونَ الطَّعامَ في مَكَّةَ، فَكانُوا في سِعَةٍ مِنَ العَيْشِ بِوَفْرِ الطَّعامِ في بِلادِهِمْ كَذَلِكَ يُسِّرَ لَهم إقامَةُ الأسْواقِ حَوْلَ مَكَّةَ في أشْهُرِ الحَجِّ وهي سُوقُ مَجَنَّةَ، وسُوقُ ذِي المَجازِ، وسُوقُ عُكاظٍ، فَتَأْتِيهِمْ فِيها الأرْزاقُ ويَتَّسِعُ العَيْشُ، وإشارَةٌ إلى ما أُلْقِيَ في نُفُوسِ العَرَبِ مِن حُرْمَةِ مَكَّةَ وأهْلِها فَلا يُرِيدُهم أحَدٌ بِتَخْوِيفٍ، وتِلْكَ دَعْوَةُ إبْراهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – إذْ قالَ: "رَبِّ اجْعَلْ هَذا بَلَدًا آمِنًا وارْزُقْ أهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ"[1] فَلَمْ يَتَخَلَّفْ ذَلِكَ عَنْهم إلّا حِينَ دَعا عَلَيْهِمُ النَّبِيءُ بِدَعْوَتِهِ[2]:اللَّهُمَّ اجْعَلْها عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِينِ يُوسُفَ فَأصابَتْهم مَجاعَةٌ وقَحْطٌ سَبْعَ سِنِينَ وذَلِكَ أوَّلُ الهِجْرَةِ"[3]

وانتعشت بفضل ذلك الحياة الاقتصادية من جديد، وساد الأمن ربوع أم القرى وطرقها، وعم الرخاء، روى "سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ قَالَ: نِعْمَتِي عَلَى قُرَيْشٍ

---

1 – سورة البقرة– أية رقم 126

2 – الحديث رواه النسائي عن أبي هريرة برقم 1072 وصححه

3 – ابن عاشور محمد الطاهر / المصدر نفسه ج 30 ص561

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. قَالَ: كَانُوا يَشْتُونَ بِمَكَّةَ، وَيَصِيفُونَ بِالطَّائِف"[1]

كان هذا الأمر أحد الأسباب التي جلبت لأهل مكة أنظار الحاسدين من ذوي الأطماع الاقتصادية الاستعمارية، لاسيما ملوك الحبشة الذين سولت لهم أنفسهم سوءا، وساقهم فرط الغرور إلى الاستخفاف بالبلد الأمين، وكان أول الملوك الذين دفعوا ثمن غرورهم هذا أبرهة بن الصباح الحبشي النائب العام للنجاشي على اليمن، الذي هم بمهاجمة البيت الشريف، تمهيدا لاحتلال مكة المكرمة، وإلحاقها بمستعمراته السابقة من مدن اليمن وصرف الحج من مكة إلى كنيسة صنعاء، فقاده سوء الرأي و التدبير إلى سوء العاقبة، وقدره المشئوم، وكانت نهايته المخزية بوادي محسر عند مشارف مكة المكرمة، بين منى ومزدلفة على الهيئة الموصوفة في القرآن الكريم: "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُول[2]، كان ذلك بعد أن ذكره عبد المطلب[3] بالعهد

1 – القرطبي أبو عبد الله / المصدر السابق ج20 ص201

2 – سورة الفيل أية رقم 5

3 – عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة المنورة لما ترك أمه سلمى عند أخواله بني النجار وهي حامل به، وذهب هاشم للتجارة في أسواق فلسطين فقدر له أن يتوفى بها ويدفن في غزة.

الذي أقامه معه، وبعد أن حذره من مغبة انتهاك حرمة البيت وأن:" للبيت رب يحميه "[1].

فلم يكترث وتمادى في غيه وفي نقضه للإيلاف[2]، "وسارعت بعض القبائل إلى طلب دخول الإيلاف أو الاستفادة منه حتى وإن لم تكن واقعة على طرق التجارة المعتادة، طمعاً منها في الربح وكذلك للاستفادة من حماية قوافلها خلال مرورها بمناطق "الإيلاف"، ففتحت بذلك طرقاً وأسواقاً جديدة. وارتفع في هذه الظروف نفوذ القرشيون إلى حد أنه يقال أنّ المسافر على رأس قافلة كان يكفي أن يقول إنه من "أهل الحرم" أو أن يضع قلادة بها قطعة من شجر الحرم ليُعصَم من أية مضايقات وهو في طريقه"[3]

وقضى المولى تعالى بحكمته وعزته، أن البلد الذي به بيته الشريف، ومقام خليله إبراهيم سيظل أمنا مهما همت به الأعداء، ومهما عدت به العوادي، ومهما طمع الطامعون، وأن يبقى الإيلاف

---

1 - الخبر أورده ابن هشام في السيرة النبوية ج1 ص 50 بصيغة: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ،و أشار إليه ابن كثير في تفسير سورة الفيل

2 - احتلال الحبشة لليمن كان بتأليب وتحريض روم بيزنطة انتقاما لقضية محرقة المسيحيين الموحدين أصحاب الأخدود التي كانت بإشراف أحد يهود اليمن. والتي جرت وقائعها في مدينة نجران سنة 523م

3 - فكري وليد/ المرجع السابق

الذي مكن قريشا منه سببا لصرف الجوع والخوف عن أهل مكة.

وللارتباط الوثيق بين معاني السورتين، (قريش والفيل)، خيل لبعضهم أنهما سورة واحدة " قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مُتَّصِلَةٌ بِالَّتِي قَبْلَهَا فِي الْمَعْنَى. يَقُولُ: أَهْلَكْتُ أَصْحَابَ الْفِيلِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أَيْ لِتَأْتَلِفَ، أَوْ لِتَتَّفِقَ قُرَيْشٌ، أَوْ لِكَيْ تَأْمَنَ قُرَيْشٌ فَتُؤَلِّفُ رِحْلَتَيْهَا. وَمِمَّنْ عَدَّ السُّورَتَيْنِ وَاحِدَةً أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَلَا فَصْلَ بَيْنَهُمَا فِي مُصْحَفِهِ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ لَنَا إِمَامٌ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا، وَيَقْرَؤُهُمَا مَعًا. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيُّ[1]:"صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقرأ في الأولى:(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)[2] وفي الثانية "ألم تر كيف"[3] و"لإيلاف قريش"[4] وَقَالَ الْفَرَّاءُ[5] (هَذِهِ

---

1 – عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيُّ وصفه الذهبي: الإمام الحجة أبو عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسلم في الأيام النبوية وقدم الشام مع معاذ بن جبل، ثم سكن الكوفة. حدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وأبي هريرة، وأبي أيوب الأنصاري، وطائفة. الذهبي شمس الدين / سير أعلام النبلاء ج 4 ص 158

2 – سورة التين: أية رقم 1

3 – سورة الفيل: أية رقم 1

4 – سورة قُرَيْشٍ أية رقم 1

5 – الفراء: من أعلام اللغة والقراءات وعلوم القرآن نعته الذهبي ب: العلامة، صاحب التصانيف أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد المهبمن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة –رحمه الله. سير أعلام ا: ج 9 ص 291

السُّورَةُ مُتَّصِلَةٌ بِالسُّورَةِ الْأُولَى، لِأَنَّهُ ذَكَّرَ أَهْلَ مَكَّةَ عَظِيمَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا فَعَلَ بِالْحَبَشَةِ ثُمَّ قَالَ: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) أَيْ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ نِعْمَةً مِنَّا عَلَى قُرَيْشٍ"[1]

وتعاظم شأن قريش، "فَتَيَسَّرَتْ لَهُمُ الأسْفارُ في بِلادِ العَرَبِ مِن جَنُوبِها إلى شَمالِها، ولاذَ بِهِمْ أصْحابُ الحاجاتِ يُسافِرُونَ مَعَهم، وأصْحابُ التِّجاراتِ يُحَمِّلُونَهم سِلَعَهم، وصارَتْ مَكَّةُ وسَطًا تُجْلَبُ إلَيْها السِّلَعُ مِن جَمِيعِ البِلادِ العَرَبِيَّةِ فَتُوَزَّعُ إلى طالِبِيها في بَقِيَّةِ البِلادِ، فاسْتَغْنى أهْلُ مَكَّةَ بِالتِّجارَةِ، إذْ لَمْ يَكُونُوا أهْلَ زَرْعٍ ولا ضَرْعٍ، إذْ كانُوا بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ وكانُوا يَجْلِبُونَ أقْواتَهم فَيَجْلِبُونَ مِن بِلادِ اليَمَنِ الحُبُوبَ مِن بُرٍّ وشَعِيرٍ وذُرَةٍ وزَبِيبٍ وأدِيمٍ وثِيابٍ والسُّيُوفَ اليَمانِيَّةَ، ومِن بِلادِ الشّامِ الحُبُوبَ والتَّمْرَ والزَّيْتَ والزَّبِيبَ والثِّيابَ والسُّيُوفَ المَشْرَفِيَّةَ...."[2]

ولتأكيد هذه النعم ودوامها على قريش، بل ولتعم بعد ذلك أصقاع العالم برمته شهدت هذه السنة (عام الفيل) التي قضى فيها الناقضون للإيلاف حتفهم، ميلاد أفضل الأنبياء والرسل محمد صلى

1 - القرطبي أبو عبد الله / المصدر السابق ج 20 ص200

2 - ابن عاشور محمد الطاهر / المصدر السابق ج 30ص560

الله عليه وسلم[1]،في ملمح فريد متميز، يوحي بأن الله تعالى أذن للعالم أن يتغير بتحطم قوى الشر والظلم والطغيان، لتحل محلها دعوة الخير والسلم والأمان.

ثانيا: تاريخ العرب من منظور قصص الأنبياء السابقين

وبعد تلك الإطلالة الوجيزة على تاريخ قريش من خلال نصوص القرآن الكريم عامة، ننتقل هنا إلى إطلالة أخرى عن شعوب الجزيرة العربية (اليمن والحجاز) من خلال قصص الأنبياء والمرسلين التي قصها المولى تعالى في كتابه الكريم.

ومن الحق السائل أن يسأل عن علاقة موضوع الدراسة بقصص الأنبياء؟!

والجواب أن هذه الدراسة قامت على فرضية عروبة الأنبياء. وإذا كان الأمر كذلك فإن النص القرآني سيشكل أهم دعائم هذا الطرح لتقديم رؤية متكاملة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية للمجتمع العربي قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وما يجب أن يؤخذ في الحسبان أن هذه "الفكرة في حد ذاتها تعد مغامرة خطره ومحفوفة بالتحديات العُظمى، لأن الخوض في سبر أغوار

---

1 - ابن هشام/ السيرة النبوية ج1 ص158 نقلا عن ابن إسحاق من رواية قيس ابن مخرمة

أقدم ديانة سماوية هبطت على الأرض بحسب اعتراف وتسليم الجميع بها (مسلمون من جميع الديانات السماوية الثلاث، أو حتى ملحدون متمردون على الرواية التوراتية، مشككون بالرواية التوراتية اليهودية المتهمة بالتحريف للتعاليم الربانية)، جميع هؤلاء يعترفون بأن مفاهيم ومصطلحات الجغرافيا تدور في فضاءات جزيرة سيناء ويهودا والسامراء وطور سينين وأورشليم القدس وهيكل النبي سليمان علية السلام وغيرها"[1]

وحتى تكون طبيعة البحث مناسبة للزمن والجهد المخصص مع مراعاة مساحة الظروف المتاحة لهذا الغرض، رأيت الاكتفاء بنماذج من الرسل والرسالات والوقوف عن أهم المحطات التاريخية القديمة التي طالتها أيادي التلاعب الإستشراقي اللاهوتي.

---

1 – عبدا لعزيز صالح بن حبتور / صحيفة رأي اليوم / صنعاء https://www.raialyoum.com/ مقال بعنوان فاضل الرُبيعي مفكراً ثورياً يعيد قراءة السرديات اللاهوتية حول تاريخ الحضارة السبئية الحِمْيَرية اليمنية 05/ أوت/2020

01- تاريخ العرب من خلال قصة نوح عليه السلام

نسب نوح عليه السلام

جاء عن ابن عباس أنه: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام "[1].

ذكر في نسب نوح عليه السلام الكثير والذي اختاره ابن كثير "هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره "[2] وعلى هذا التقدير يكون نوح عليه السلام هو أحد أحفاد إدريس عليه السلام

حملت الإشارة القرآنية على أن نوح عليه السلام ينتمي إلى أمة تتخذ من العربية أسلوبا للحوار والجدال، وذلك بالنظر إلى أمرين أساسين:

أولاهما: أن الخطاب القرآني الموجه لأمة العرب كان على جهة الإمتنان يقول الحق جل علاه:" أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

---

1 - البخاري /صحيح البخاري

2 -ابن كثير إسماعيل /البداية والنهاية ج1 ص 237

وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَٱذْكُرُواْ ءَالَاءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1]

وثانيهما: موضوع الدعوة التي بعث من أجلها نوح عليه السلام تبين الرقعة الجغرافية التي مارس فيها دعوته طيلة المدة التي ذكرها القرآن الكريم 950 سنة.

فقد تركزت دعوته كلها على الدعوة إلى ترك عبادة الأصنام الخمسة:"وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا". [2]

وهذه الأصنام الخمسة " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أصنام قوم نوح وقوم إدريس علية السلام وانتقلت إلى عمرو بن لحي كما نذكره هنا قال أخبرني أبي عن أول عبادة الأصنام أن آدم لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه بأرض الهند ويقال للجبل نوذ[3] وهو أخصب جبل في الأرض يقال أمرع من

1 - سورة الأعراف أية رقم 60

2 - سورة نوح- أية رقم 23

3 - جبل نوذ ولعله الجبل الذي أراد أن يحتمي به ابن نوح، ويروى عن ابن عباس أنه الجبل الذي هبط به أدم.

نوذ وأجدب من برهوت وبرهوت[1] واد بحضرموت قال فكان بنو شيت يأتون جسد آدم في المغارة ويعظمونه ويرحمون عليه فقال رجل من بني قابيل بن آدم يا بني قابيل إن لبني شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عمله وكان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين ماتوا في شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بني قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم فنصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وكانت عملت على عهد يرد بو مهلائيل بن قينان بن أنوس بن شيث بن أدم، ثم جاء قرن آخر يعظمونهم أشد تعظيما من القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث[2] فقالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم[3]عند الله فبلوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم فبعث

---

1 – هي بئرٌ تاريخية قديمة تقع في محافظة المهرة في اليمن، يُقال إنها تقع في بوادي برهوت، يحيط به الغموض كثيرا وقد نسجت حوله الكثير من الأساطير ويروى في ذلك حديث موقوف عن ابن عباس " اخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.

2 – القرن /الجيل وشاهد ذلك حديث خير القرون قرني.

3 – الواضح من هذا أنهم لم يعبدونهم لذاتهم وإنما لاعتقاد قربهم من الله فرجوا التوسط عنده، ويلاحظ أن الاعتقاد في هذه الأصنام الخمسة قد تطور كما جاء في الرواية جيلا بعد جيل.

الله إليهم إدريس علية السلام وهو أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان نبيا فنهاهم عن عبادتها ودعاهم إلى عبادة الله تعالى فكتبوه فرفعه الله مكانا عليا ولم يزل أمرهم يشتد فيها. قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ فبعثه الله نبيا وهو يومئذ ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة فدعاهم إلى الله تعالى في نبوته مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها، وكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة، فأهبط ماء الطوفان هذه الأصنام من جبل نوذ إلى الأرض، وجعل الماء بشدة جريه وعبابه ينقلها من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة، ثم نضب الماء وبقيت على شط جدة فسفت الريح عليها التراب حتى وارتها."[1] فأما نسر فكان بإقليم بلخع[2] من أرض حمير .

قال أبو المنذر اتخذ حمير صنما إسمه نسر فعبدوه بأرض يقال لها بلخع ولم أسمع حمير سمت به أحدا يعني قالوا عبد نسر ولم أسمع له

1 - ياقوت الحموي / المصدر السابق ج 5 ص 367

2 - ياقوت الحموي / المصدر السابق ج 5ص 84

ذكرا في أشعارها ولا أشعار أحد من العرب وأظن ذلك لانتقال حمير وكان أيام تبع من عبادة الأصنام إلى اليهودية"[1]

قصة انتقال الأصنام الخمسة من اليمن إلى نجد والحجاز

روى ابن هشام في قصة انتقال الأصنام الخمسة من اليمن إلى أرض نجد والحجاز فقال "كان عمرو بن لحي وهو ربيعة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد وهو أخو خزاعة وأمه فهيرة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي كان قد غلب على مكة وأخرج منها جرهما، وتولى سدانتها، وكان كاهنا، وكان له مولى من الجن يكنى أبا ثمامة، فقال عجل المسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة، قال خبر ولا إقامة، قال أئت ضفاف جدة تجد فيها أصناما معدة، فأوردها تهامة ولا تهب وادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى شط جدة، فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع إليه ودا فحمله إلى وادي القرى وأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهذا أول من سمى عبد ود ثم

1 - ياقوت الحموي / المصدر السابق نفس الصفحة

سمت العرب به بعده وجعل ابنه عامرا الذي يسمى عامر الأجدار سادنا له، فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الإسلام"[1]

ثم ذكر ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر خالد ابن الوليد فهدمه " وكان رسول الله علية الصلاة والسلام بعث خالدا من غزوة تبوك لهدمه فحال بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر الأجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره وكان فيمن قتل يومئذ رجل من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح "[2]

وكان فيمن قتل يوم هدم صنم ود " حسان بن مصاد ابن عم الأكيدر صاحب دومة الجندل"[3].

وذكروا أن "عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إبراهيم علية السلام ودعا العرب إلى عبادة"[4]

نسر: أحد الأصنام الخمسة التي عبدها قوم نوح عليه السلام، وصارت إلى "عمرو بن لحي كما ذكرنا في ود، ودعا القوم إلى عبادتها

---

1 - ابن هشام / المصدر السابق ج1 ص 214

2 - ابن هشام / نفس المصدر والصفحة

3 - دومة الجندل بضم أوله وفتحه، مدينة على سبع مراحل من دمشق معجم البلدان الحموي ج.2، ص487

4 -ابن هشام/ المصدر السابق

فكان فيمن أجابه حمير فأعطاهم نسرا ودفعه إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع فعبدته حمير ومن والاها فلم تزل تعبده حتى هودهم ذو نواس[1] "[2]

انتقل ود إلى بني وبرة وكان بدومة الجندل حسب ما يذكر أبو المنذر هشام بن محمد وقد نقل عنه ذلك الحموي

المستخلص من الروايات:

يستفاد من الأخبار السالفة أن هذه الأصنام أحدثت من طرف العشائر التي قيل إنها من نسل قابيل تحديدا وأنها من همدان وخولان، وكان ذلك زمن نبي الله إدريس عليه السلام، واستمرت إلى زمن حفيده نوح عليه السلام كما أن عبادة هذه الأصنام كانت على مرحلتين:

مرحلة ما قبل الطوفان، وفيها كان وجودها محصورا بأرض اليمن، وهنا جرت وقائع صنع السفينة من طرف نوح عليه السلام بوحي من الله، وقد استهزأ به كل الذين مروا به وهو عاكف على صنع السفينة:" وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ

---

1 - ذو نواس 468 م ق527 - ق م أحد ملوك حمير تهود وغير إسمه إلى يوسف وإليه تنسب محرقة أصحاب الأخدود بنجران

2 - ياقوت الحموي / معجم البلدان ج5 ص 284

قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ"[1].

وبأرض اليمن دعا نوح قومه وشكى أمره إلى ربه، ووصف تعنتهم واستكبارهم: "قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا "[2]

وبأرض اليمن دوما نادى نوح ربه في شأن ابنه "وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ"[3]

وكان جواب الله تعالى إليه " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لكَ بهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"[4]

1 - سورة هود - أية رقم 38
2 - سورة نوح الآيات من 5 إلى 9
3 - سورة هود الآية رقم 45
4 - سورة هود أية رقم 46

أرض اليمن منطلق سفينة نوح عليه السلام ومرساها:

ولما أتم نوح عليه السلام صنع السفينة، ورأى من علامات الطوفان القادم "وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"[1]

وتذكر الدراسات الحديثة أن سفينة نوح عليه السلام انطلقت من وادي العجائب بمنطقة الهجرين في محافظة شبوة حاليا" وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ"[2]وقبل إقلاعها نادى نوح ابنه" وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ"[3]

وبتعنت الإبن وإصراره على البقاء مع الكافرين توهما منه أن الاحتماء بالجبل سيعصمه من الماء، اجتمعت فيه معصيتان: معصية الكفر ومعصية العقوق " قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ"[4]

وانتهى المسير بالسفينة بمنطقة الجودي "جبل زعتر حاليا "[5]

---

1 - سورة هود الآية رقم 41

2 - سورة هود الآية رقم 42

3 -سورة هود أية رقم 42

4 - سورة هود أية رقم 43

5 - أنظر فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية – دار نوفل للطباعة – بيروت ط1- سنة1994م - ص 88

بريف صنعاء. ولما غيض الماء وقضي الأمر "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ"[1]

والملاحظ هنا أن القرآن اكتفى بذكر كلمة "الجودي" دون ذكر "جبل "وبالجودي هضبة مرتفعة قليلا عن الماء وهي غير محدبة وبالشكل الذي يسمح للسفينة الرسو فوقها، والاستقرار بها إلى غاية نزول جميع ركابها من البشر ومن كل زوجين أثنين. ويستحيل أن يتم ذلك فوق جبل هرمي محدب.

وهكذا نفهم من القصة القرآنية أن المولى تعالى نقل كل حوار نوح مع قومه باللغة العربية وندائه إلى ربه وسلوك قومه في الرد عليه، سواء بالقول: (قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)[2] أو بالفعل (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا)[3] وهؤلاء من القبائل العربية باليمن، وجوابهم كان باللغة التي ذكر بها المولى تعالى قولهم وردهم على دعوة نوح عليه السلام .

---

1 - سورة هود أية رقم 48

2 - سورة هود أية رقم 32

3 - سورة نوح أية رقم 7

وهكذا إذا فاللغة العربية وطيلة مدة دعوة نوح 950 سنة هي السائدة في لغة الحوار والجدال بين نوح وقومه في أرض اليمن، على الأقل في الرقعة الجغرافية التي كان بها نوح عليه السلام

ومن الدلائل على عروبة قوم نوح عليه السلام، وأن مسار سفينته كانت بأرض اليمن أن أمية بن الصلت[1] رثى نوحا فقال:

جَزى اللهُ الأَجَلُّ المِرءَ نوحا ... جَزاءَ البِرِّ لَيسَ لَهُ كِذابُ
بِما حَمَلَت سَفينَتُهُ وَأَنجَت ... غَداةَ أَتاهُمُ المِوتُ القُلاب
وَفيها مِن أَرومَتِهِ عِيالٌ لَديهِ ... لا الظِماءُ وَلا السِغابُ
وَإِذ هُم لا لَبوسَ لَهُ. تَقيهِ ... وَإِذ صَمُّ السِلامِ لَهُم رِطابُ
عَشِيَّةَ أَرسَلَ الطوفانَ تَجري ... وفاضَ الماءُ لَيسَ لَهُ جِرابُ
عَلى أَمواجِ أَخضَرَ ذي ... كَأَنَّ سُعارَ زاخِرِهِ الهِضابُ[2]

02-: تاريخ العرب القديم من خلال قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام

ذكر الحق جل علاه مسار الرحلة الإبراهيمية في النص القرآني الكريم على النحو الأتي: " وَلَقَدَ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ

1- أمية بن الصلت كان راهبا واعتنق المسيحية بعد الشرك. المسعودي مروج الذهب ج1 ص.70 إسماعيل بن على الأكوع هامش كتاب الإكليل ج1 ص78

2 - أمية بن الصلت/ الديوان -المكتبة الأهلية – بيروت – ط1 – سنة 1934 م

عَالِمِينَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ*وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ* قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"[1].

يتضح من النص الكريم، بداية رحلة إبراهيم عليه السلام وأسبابها، والظروف التي تمت فيها، وإن لم يذكر القرآن الكريم ذكر أسماء الأماكن التي انطلق منها، أو المدن التي مر بها عدا الأرض التي انتهت بها رحلته. وحط بها عصى الترحال الأخير، وهي الأرض المباركة للعالمين - مكة المكرمة وما حولها- كما سيأتي معنا لاحقا.

وحينما نبحث عن تفاصيل هذه الرحلة عموما، نجد أنفسنا أمام سرديتين.

سردية توراتية يهودية ادعت أن إبراهيم عليه السلام استهل رحلته من المكان المسمى ‘‘الكسديم" عند " أور الكلدانيين" ببلاد ما بين النهرين باتجاه "حران " على الحدود التركية السورية، ثم الشام وفلسطين ثم مصر ثم العودة إلى فلسطين، والاستقرار بها نهائيا إلى أن دفن بها كما يزعمون.

وسردية إسلامية تختلف بعض الشيء عن السردية التوراتية تبدأ من "بابل ‘‘يعني من العراق’’ – بلاد الشام – مصر – العودة إلى الشام ‘‘فلسطين’’[1] طبعا بعد زيارات سريعة إلى مكة المكرمة

---

1 - سورة الأنبياء - الآيات من 51 إلى 73

الأرض المبارك فيها للعالمين

ويلخصها ابن جرير الطبري نقلا عن محمد بن إسحاق كما يلي: "خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برّية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نبيا.حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" قال: نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام"[2]

الرأي الأول: حران هي الأرض المبارك فيها للعالمين

يورد الطبري وجهان للخلاف في تعيين الأرض التي انتهت بها رحلة إبراهيم عليه السلام، والتي وصفها المولى تعالى من أنه بارك فيها للعالمين: "وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى

1– سليمان داود الشويلي / جغرافية هجرة النبي ابراهيم – بين التوراة والواقع/ مجلة الثقافة الجزائرية الالكترونيةhttps://thakafamag.com/?p=46993

2 – الطبري ابن جرير / تفسير سورة الأنبياء ج 18 ص 70

إبراهيم ولوطا إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك- يقصد الشام"[1]

ومستند هذا التأويل ما روي عن كعب الأحبار اليمني من طريق: "الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" قال: الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس"[2]

وفي سفر التكوين الإصحاح 11 نجد نصا مشابها لهذا " تارح إبرام ابنه، ولوط بن هاران، ابن ابنه، وساراي كنته إمراة إبرام ابنه، فخرج بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فجاءوا إلى حاران وأقاموا هناك. وكان عمر تارح مأتى سنة وخمس سنين ومات تارح بحاران"

و"تارح" حسب هذا النص التوراتي هو والد إبراهيم عليه السلام، أما في النص القرآني الكريم فيرد معنا والد إبراهيم باسم "أزر"[3] كما نجد "حاران" المذكورة في النص التوراتي هنا هي المدينة المرجحة في

1 - الطبري / تفسير سورة الأنبياء ج18 ص 68

2 - تفسير الطبري / سورة الأنبياء ج18 ص68

3 - بعض المفسرين يذكر أن والد إبراهيم عليه السلام هو تارح وليس أزر.

السردية الإسلامية على أنها **"الأرض التي بارك الله فيها للعالمين"!**

وقبل التطرق إلى تفاصيل قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، لابد من التنويه بما صرح به أحد الباحثين المعاصرين أنه " لم يحصل في تاريخ البشرية من التشويه والتزييف، كما حصل في تاريخ الأنبياء والرسل، ولاسيما نبي الله إبراهيم وذريته، عليهم السلام، وذلك على يد اليهود قديما، ومن سار على نهجهم حديثا من المستشرقين أو من أبناء المسلمين، الذين انطلت عليهم الأكذوبة التي تخدم أهداف اليهود في الإفساد في الأرض وإخراج الناس من ديارهم، وسلب أموالهم وثروات أرضهم"[1]

وهذا التحريف الذي طال " قصص أنبياء الله تعالى ورسله، من قلب جزيرة العرب وإسقاطها على بلاد الشام، وما اتصل بها من مملكة وادي النيل (مصر الحالية) وهو من تحريف الكلم عن مواضعه، ليتم لهم ذلك طمس الجغرافية الحقيقية لأولئك الأنبياء، ولا سيما نبي الله إبراهيم الذي اقترن إسمه في القرآن الكريم بمكة المكرمة ولم يقترن بمكان أخر سواها، وكذلك الخلف من أنبياء الله تعالى، الذين كان أصل مبعثهم

1 - قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 287

مكة وما حولها من القرى على امتداد سهول تهامة واليمن وجبل السراة والحجاز وما اتصل بها من المنحدرات نحو سهول نجد"[1]

ويرى آخرون "أن جغرافية سرديات التوراة، من الوجهة اللغوية، هي جغرافية أرض اليمن وليست أرض فلسطين كما حاول، ونجح في محاولة التلفيق هذه، رجال اللاهوت اليهودي، وبعض المسيحيين المتصهينين، وتيار الإستشراق التوراتي، وأصحاب نظريات الاستعمار الإمبريالي، فراحوا يلعبون على حبال الترجمات من الإنكليزية، والسريانية، والآرامية، وكذلك العبرية الحديثة، وليست العبرية الصنعانية السبئية التي كتبت بها التوراة الأصلية، فترجموا التوراة حسب أهواءهم، وغاياتهم، وأهدافهم، اللاهوتية والإستشراقية، الاستعمارية، فغيروا أسماء المواضع التي وقعت فيها أحداث التوراة"[2]

ويصف ابن جرير الطبري إبراهيم عليه السلام بأنه الأب الأكبر لقبيلة قريش: "وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان،

1- قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 286 والمقصود بالتحريف ما أتى من اليهود من خلال كتبهم.

2-داود سلمان الشويلي/ جغرافية هجرة النبي ابراهيم بين التوراة والواقع ـ.المجلة الثقافية الجزائرية موقع إلكتروني

وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم....."[1]

ويضيف الإمام الطبري فيما جاء في فضائل الشام، ومما جاء عنه في ذلك:" وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ألا تحوّل إلى المدينة فإنها مُهاجَر رسول الله وموضع قبره، فقال له كعب: يا أمير المؤمنين، إني أجد في كتاب الله المنزل، أن الشام كنز الله من أرضه[2]، وبها كنزه من عباده"[3]

والمؤكد أن كعبا -إن ثبت عنه ذلك- لم يقصد بالكتاب المنزل (القرآن الكريم)، لأن عمر أعلم به منه، وسيطالبه بالدليل، وإنما قصد بذلك ما حفظه من التوراة في اليمن قبل إسلامه.

ويواصل الطبري في عد فضائل الشام " وكان يقال للشأم عماد

---

1 -الطبري ابن جرير/ تفسير سورة الأنبياء ج 18ص 68

2 - وصفهم الله تعالى بأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وتوعدهم على ذلك.

3 - الطبري ابن جرير/ تفسير سورة الأنبياء ج18 ص69

دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال"[1]

الرأي الثاني: مكة المكرمة هي الأرض المبارك فيها للعالمين

ثم يذكر الوجه الثاني في تأويل الأرض المبارك فيها للعالمين، وهو المروي عن عبد الله بن عباس وغيره "وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى "الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **"وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"** يعني مكة ونزول إسماعيل البيت. ألا ترى أنه يقول:"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"[2]

لكن الطبري رجح رواية كعب الأحبار على رواية ابن عباس، اعتبارا من أن الغالبية قد مالت إلى هذا التأويل:" وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته،

---

1 - الطبري / تفسير سورة الأنبياء ج 18 ص 69

2-الطبري/ تفسير سورة الأنبياء ج18ص74

وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"[1]

وإذا ذهبنا إلى ابن كثير في القرن الهجري السابع، نجده يوافق ما ذهب إليه الطبري وغيره: "يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّهُ سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ مُهَاجِرًا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْهَا، كَمَا قَالَ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أبي بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ **"إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"** قَالَ: الشَّامُ، وَمَا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ إِلَّا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ وكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَيْضًا.وقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يُقَالُ لِلشَّامِ: عِمَادُ دَارِ الْهِجْرَةِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ الْأَرْضِ زِيدَ فِي الشَّام وَمَا نَقَصَ مِنَ الشَّامِ زِيدَ فِي فِلَسْطِينَ. وَكَانَ يُقَالُ: هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهَا

---

1 - الطبري/ تفسير سورة الأنبياء ج18 ص 470

يَهْلِكُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ فِي قَوْلِهِ:"إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" إِلَى حَرَّانَ"[1]

وابن عباس كان مستنده القرآن الكريم، أي أنه فسر ألفاظ القرآن ومعانيه بما ورد فيه في الكتاب في موضع أخر، وهو ما يعرف في مباحث أصول التفسير بتفسير القرآن بالقرآن، وهو أعلى مراتب التفسير.

وهكذا صارت اجتهادات العلماء هذه من المسلمات " وأن مُجرد الاقتراب منها أو التشكيك بها تُعد مُحرَّمة بالمطلق لدى عموم الناس في العالم ولدى الاختصاصيين والمستفيدين من بقاء الرواية على حالها"[2]

وحينما يعقب ابن عباس وهو حبر الأمة وترجمان قرآنها — تفسيره بالقول: "ألا ترون...... " دليل على أنه متشبث بما بدا له، متيقن بذلك، يدرك جيدا ما يقول.

وعلى تقدير ابن عباس، فإن إبراهيم عليه السلام اتجه مباشرة بعد محاولة حرقه وإيذائه من طرف قومه إلى مكة المكرمة، وفضل الاستقرار

---

1 – ابن كثير إسماعيل بن عمر/ تفسير القرآن العظيم –سورة الأنبياء ج 5 – منشورات دار الكتب العلمية، – بيروت ط 1– 1419هـ– ص 310

1– عبدا لعزيز صالح بن حبتور / المرجع السابق

الأبدي بما هو وأهله، وهذا هو المستفاد من نصوص القرآن الكريم.

ذلك أن عبارة (الأرض المباركة للعالمين) هي من جنس العلمية، أي المعلومة لدى الجميع، والله تعالى لم يذكر ها على جهة التعدد، بل على جهة الإفراد للدلالة على أنها أرض واحدة مباركة للعالمين (مكة المكرمة وما حولها) وهي أرض الأنبياء ومهوى أفئدة الناس أجمعين.

أما اعتبار رواية كعب الأحبار أن الأرض المباركة للعالمين هي "حران" بناحية تركيا أو الشام، فهو أمر يفتقر إلى الحجة والبرهان، وكعب الأحبار واحد من أحبار اليهود السابقين: "وأحبار اليهود عُرفوا على مدار التاريخ بالتزوير في الترجمة وأحياناً في النصوص"[1]

وقد تعرضت نصوص التوراة إلى تحريف وتزوير كبيرين " حتى بلغ التزوير في ترجمة المفردات والنصوص تصل إلى آلاف المغالطات "[2]

ثم إن كعب الأحبار لم يوضح لتلامذته أي "حران" التي حفظها من التوراة أهي حران اليمن؟ أم هي حران الشام؟ أم غيرهما؟

---

1 - أ.د. عبد العزيز صالح بن حبتور/ نفس المرجع والرابط

2 -أ.د.عبدا لعزيز صالح حبتور / المرجع السابق

ذلك لأن المدن التي تحمل هذا الاسم كثيرة، وقد عد الزبيدي منها خمسة كلها (حران)[1] .

ويحتمل أن الذين تلقوا من كعب الأحبار أو بلغهم تفسيره، ظنوا أنه قصد "حران" الشام باعتبار الرحلة قادمة من أرض العراق.

خلاصة توجيه القصة:

الرأي الأول: مولد إبراهيم الخليل بضواحي مكة المكرمة

هكذا فإن إبراهيم خليل الله يكون قد ولد بمنطقة "حاران" النجدية جنوب مكة المكرمة وبها جادل قومه في عبادة الأصنام ورمي في النار من أجل ذلك هناك، حسب دراسة قام بها فريق من الباحثين المعاصرين، والتي تجعل من رحلة إبراهيم على النحو التالي: "ولد نبي الله إبراهيم عليه السلام في حوران النجدية الواقعة على مسافة 300كلم تقريبا جنوب مكة في الجهة الشرقية من سهول جبال السراة. دعا إبراهيم قومه إلى عبادة الله وحطم لاحقا أصنام المعبد في حوران، فألقي القبض عليه (قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ)[2]وصدر الحكم بإعدامه حرقا (قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن

---

1 - مرتضى الزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس- ج10 –وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت –ص 74

2 - سورة الأنبياء- أية رقم 60

كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ)[1]فأنجاه الله تعالى (قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ)[2].خروج إبراهيم من حوران إلى منطقة مكة بعد نجاته من النار: قرر إبراهيم مغادرة وطن أبائه (قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ)[3] وأخبرنا الله تعالى أن إبراهيم توجه حينذاك إلى الأرض المباركة للعالمين وهي مكة المكرمة (وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ)[4] حيث سكن بداية في عرفة، ولم يكن يعرف مكان البيت تحديدا حينها .فأقام وزوجته سارة في موقع مسجد نمرة الذي لم يزل قائما في عرفة تخليدا لموقع سكن الخليل الأول ومسجد نمرة كان يقع في حقل زراعي لشخص يسمى عفرون بن صوحر"[5].

الرأي الثاني: مولد إبراهيم الخليل بأرض اليمن

في حين يرى آخرون ممن اهتم بدراسة العهد القديم (التوراة)، وعمل على تحليل مفرداتها ومعانيها، أن إبراهيم عليه السلام يكون قد ولد بأرض اليمن، وأنه انطلق من جبال كسديم هناك قرب محافظة

---

1 -سورة الأنبياء- أية رقم 68

2 - سورة الأنبياء - أية رقم 69

3 - سورة الصافات - الآية رقم 97

4 - سورة الأنبياء- الآية رقم 71

5 - جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية / نداء السراة اختطاف جغرافية الأنبياء- دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق -ط 2 -سنة 2006 م- ص321

الضالع[1]،وأن الأرض التي بدأت منها رحلة إبراهيم بحسب النص التوراتي في سفر التكوين هي جبال الكسديم أي جبل كساد [2]

وأن النار التي ألقي فيها إبراهيم عليه السلام كانت باليمن تحديدا قرب صنعاء بالمكان المسمى ضروان[3]، وكانوا يعتقدون أنها نار الامتحان، يمتحنون فيها الصادق من الكاذب، فالذي يخرج منها سالما هو صادق، ومن كان كاذبا كالكاهن والعراف فلا يخرج منها سالما وكانوا يلقون فيها القرابين فمن أكلت قربانه قبل، ومن لم تأكل رفض.

وقالوا إن من دعائم هذا الرأي، أن إبراهيم عليه السلام قد عاصر ملوكا صلحاء وهم عرب والتقى بهم أيضا، وهم معروفون في تاريخ اليمن كما تذكر المصادر العربية.

فليس كل من عاصره إبراهيم أو لقيه من الملوك هو بالضرورة فرعون أو كافر، فقد عاصر " عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان وهو شيخ على ما قد أجمع عليه أهل الأخبار قريب مائتي سنة"[4]

1- فاضل الربيعي/ إبراهيم وسارة والهجرة الوهمية إلى فلسطين – رياض الريس للكتب والنشر – بيروت ط1- 2020م ص75

2 - الربيعي فاضل/ المرجع نفسه ص75

3 - ضروان بفتح الضاد المعجمة ثم راء مفتوحة ينظر الهمداني كتاب الإكليل للهمداني ج1 ص 78

4 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج1ص126

ملوك عاصرهم إبراهيم الخليل

ويروى أن إبراهيم عليه السلام قد عاصر أيضا وائل بن الغوث، كما عاصر جيدان بن قطن علاوة على عبد شمس، وجميع هؤلاء الثلاثة مؤمنين صالحين "وعاش إبراهيم الخليل عليه السلام عمر هؤلاء الملوك الثلاثة. وذو القرنين[1] عليه السلام أيضاً لحق عربياً ووائلا. وكان النائب معه على الثغور حارثة بن الغطريف ابن امرئ القيس"[2]

"الغوث بن جيدان ولي الملك في حياة أبيه، وبعد وفاته دهرا طويلا. وكان من أحسن الملوك سيرة، وأعلمهم بسيرة آبائه وأجداده. ثم أنَّه خطب إلى ذي القرنين[3] ابنته أم البنين فزوجه بها، فلم يلبث معها إلاّ شهراً توفي وهي حامل بوائل، وخلف في الملك ذا القرنين، وتوافقت على مقامه حمير وكهلان "[4]

---

1 - يقول عنه الهمداني أنه من قبيلة همدان اليمنية قرب صنعاء الإكليل ج2 ص 241

2- نشوان بن سعيد الأندلسي/ خلاصة السيرة الجامعة لعجائب من أخبار الملوك التبابعة - دار العودة- بيروت ط2 - 1978 م ص 45

3- أرجح الأقوال في سبب تسميته بذي القرنين"' لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا. وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري وقال الحسن البصري " إبن كثير /البداية والنهاية

4 - نشوان بن سعيد / المرجع السابق ص 41 - 42

ويذكر ابن كثير " أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِ تَلَقَّاهُ وَدَعَا لَهُ وَرَضَّاهُ وَأَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ السَّحَابَ يَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[1]

وهذا أمر طبيعي، لأن إبراهيم قد كلفه ربه برعاية البيت العتيق **الذي تسميه التوراة "البيت المقدس" أو بيت إيلة**، والقيام على أمور الحج وتعليم الناس مناسكهم واستقبال ضيوف الرحمان، وهي السنة التي حافظ عليها أحفاده العدنانيون فيما بعد إلى أن بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما فرعون إبراهيم الطاغية الذي حاجه في ربه، وزعمت الرواية التوراتية أن إسمه "النمرود"، وأنه كان بالعراق، وسارت على خيال هذه الرواية بعض السرديات الإسلامية فإن المصادر العربية لا تعرف خصما لإبراهيم بهذا الاسم، وتذكره على النحو الذي أسلفنا، وأن فرعون إبراهيم ليس سوى أحد عماليق العرب الموصوفون في القرآن الكريم بالطغيان وبالتجبر بمدينة مصر باليمن و إسمه " سنان بن علوان "، يقول ابن جرير الطبري "حُدِّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ- فيما ذكر من أمر الضحاك هذا- قال: والعجم تدعي

1- ابن كثير إسماعيل بن عمر / البداية والنهاية ج 2ص103

الضحاك وتزعم أن (جما)كان زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته، وملكه على اليمن، فولدت له الضحاك.قال: واليمن تدعيه، وتزعم أنه من أنفسها، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج، وهو أول الفراعنة، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام"[1]

وأما السرديات التوراتية التي نفخ فيها كثيرا تيار الاستشراق اللاهوتي، والتي صورت نبي الله إبراهيم عليه السلام أنه أعجمي هو وزوجتيه سارة ثم هاجر، فأمرها بات واضحا لخدمة أغراض غير علمية وغير نزيهة.

وإذا عرفنا أن فرعون إبراهيم الذي لقب في الراويات الإستشراقية اللاهوتية بـ: "النمرود"، بأن إسمه الحقيقي" سنان بن علوان "، يكون بهذا قطعا قد عاش في وسط عربي لأن علوان من عمالقة "حمير" اليمن الذين خرجوا قرب صنعاء يقول الهمداني " وأما علوان فإنه دخل في عملاق بن لاوذ، فأولد بعض الفراعنة، وحمير وأهل صنعاء يقولون إنه خرج من وادي ضهر، سبعة من الفراعنة "[2]

---

1 - ينظر في هذا الباب الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص 179

2 – الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج2 ص 94

الخلاف في لقاء إبراهيم الخليل بحمو رابي:

ومن غريب الأخبار التي ترويها المصادر الإستشراقية وتتناقلها – دون وعي – بعض الأقلام المعاصرة التي ساهمت في كتابة التاريخ الإسلامي أن إبراهيم عليه السلام وأثناء مروره بمدينة كانت تسمى بابل[1] بالعراق، قد التقى برجل، وباركه وشكره، وقدم له خبزا وخمرا...!

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في تفسير رشيد رضا على أنه " حمو رابي" وأن له لقبا أخر كان يعرف به أيضا.

" وصرح بعضهم بأن الملك حمو رابي الذي كان معاصرا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عربي، **وحمو رابي هذا هو "ملكي صادق"** ملك البر والسلام، ووصف في العهد العتيق بأنه كاهن الله العلي، وذكر فيه أنه بارك إبراهيم، وأن إبراهيم أعطاه العشر من كل شيء"[2]، ويفهم من هذا أن ملكي صادق كان مكلفا بجمع العشور أي الزكاة على الأغنام وإبراهيم قد دفع له ذلك.

---

1 - توجد قرية بابل تابعة لمحافظة الجوف بالجمهورية اليمنية، قيل إنها هي المقصودة في القرآن الكريم لارتباطها بقصة سليمان عليه السلام وقد كانت مملكته هناك باليمن.

2 - رشيد محمد رضا/ تفسير المنار–ج 6 - الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 1990م–ص46

وإذا سلمنا لادعاء محمد رشيد رضا، من أن "حمو رابي" الذي التقى بإبراهيم عليه السلام ودفع له العشور، هو نفسه "ملكي يصدق" أو "ملكي صادق" فمعنى ذلك أن هذه الوقائع جرت في اليمن، لأن "ملكي يصدق" شخصية سبئية حميرية شهيرة باليمن، وهو لا يعدو أن يكون مجرد رئيس عشيرة يمنية صغيرة، لقب بالصادق لأمانته، وبالملك كونه ترأس هذه العشيرة.

وقد "كانت أسرة يهصدق الأول أول أسرة حميرية جديدة واجهت حروب القبائل بشراسة، وتمكنت من الحفاظ على هيمنة الجنوب"[1]

نقد الرواية التوراتية حول إبراهيم الخليل

هذا مع ما في هذه الرواية التوراتية المستمدة من سفر التكوين من خطورة إذ أنها تعتبر "ملكي يصدق" كاهنا يهوديا!! وقد بارك لإبراهيم في عمله!، وناوله خبزا وخمرا![2]

ويصير المعنى بعد ذلك، أن اليهودية سابقة في الوجود عن إبراهيم عليه السلام.!! والغريب في الأمر أن الأسطورة التوراتية تسرد

1- فاضل الربيعي / اختلاق ملوك أورشليم ولغز ملكي صادق
/https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/12/11

2 – جاء ذلك في العهد القديم سفر التكوين الآيات 14 إلى 20

رحلة إبراهيم عبر عدة دول وإمبراطوريات ذات لغات وألسن متعددة!!
ألا يدعو هذا إلى التساؤل كيف كان إبراهيم يتحدث مع هؤلاء جميعا وما هو اللسان الذي أذن به في الحج وكيف تعامل مع الأقباط في مصر ثم: "فإذا كان إبراهيم قد نشأ بالعراق فهذا يعني أن لغته الأصل هي الكلدانية المسمارية ولا صلة له بالعرب وإذا انتقل إلى الشام تغيرت لغته فتكون الفنيقية لغة أهل الشام ولا صلة له بعرب الحجاز، فكيف تنشا لغته ولغة أحفاده شقيقة للغة العرب في الحجاز"[1]

والسرد التوراتي لرحلة إبراهيم خليل الله جعلت البعض يفهم "من سياق قصة إبراهيم وسارة أنهما كانا قادمين من مكان بدوي هو جبل الكساد (كسديم) ووادي حران في لحج- الضالع قاصدين دخول مصريم (وادي السحول) في إب"[2]

وإذا أصبح من اليقين الذي لا يداخله أدنى شك أن "إبراهيم هو من بنى بيت الله الحرام، وقد أنكرت التوراة ذلك، فإذا كانوا قد كذبوا في أكبر معلم من معالم حياة النبي إبراهيم وهو بناء البيت الحرام، فهل نصدقهم فيما هو أدنى من ذلك ...!! "[3]

---

1 – مبروك محمد أبو زيد /مصر الأخرى- دار فصلة للنشر –القاهرة – سنة 2022م المقدمة
2 – الربيعي فاضل / إبراهيم وسارة الرحلة الوهمية –ص 75
3 – مبروك محمد أبو زيد/ المرجع السابق

فالتوراة لا تعترف بأن إبراهيم دخل مكة المكرمة، ولا تعترف أنه بني الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل، وتكتفي بأنه عاش كل حياته ومات بالشام، وهو مخالف لما هو معلوم من أمر إبراهيم عليه السلام:'' فحياته كانت في البقعة الجغرافية بين الحجاز واليمن، وإذا كان هو المشرف على العبادة والمكلف بأن يؤذن في الناس بالحج، فيقول ربنا جل وعلا (وأذن في الناس ..)[1]، فهل يعقل أن يأمره الله بالإشراف على البيت وتعميره والإشراف على شعائر الحج والعبادة وأن يؤذن في الناس بالحج بينما هو مقيم بفلسطين على مسافة 1500كلم!"[2]

حياة إبراهيم كلها بمكة المكرمة

الظاهر من النصوص القرآنية الكريمة أن إبراهيم سكن عند بيت الله المحرم هو وأهله وذريته " رَّبَّنَا إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"[3]

ويفهم من هذا أن كل بنيه وأزواجه وحتى من أدركه من أحفاده

---

1 - سورة الحج أية رقم 27

2- مبروك محمد أبو زيد / المرجع السابق

3 - سورة إبراهيم أية رقم 27

(يعقوب عليه السلام) يكون قد عاش معه بمكة المكرمة، إذ لا توجد أي قرينة تصرف ظاهر النص القرآني عن عمومه، سيما وقد تقرر من القواعد الشرعية أن العام يبقى على عمومه حتى يرد الدليل على تخصيه وأن ترك الإستفصال في حكاية الحال يتنزل منزل العموم من المقال وأن العام على عمومه ما لم يرد الدليل على تخصيصه ونحو ذلك مما تقرر من القواعد.

وفي حقيقة الأمر أن الذين خصصوا من ذرية إبراهيم وقالوا سكن إسماعيل فقط بمكة، وأرسل إسحاق وأمه سارة وحفيده يعقوب وأبناء يعقوب (بنو إسرائيل) يعيشون بمسافة بعيدة عن مكة بأكثر من ألف كلم، هو كلام لا دليل عليه، وإنما هو مجرد نقل أو محاكاة للنصوص التوراتية وتراجمها.

وإذا كان الاتفاق قد حصل بخصوص مسكن هاجر وابنها إسماعيل بمكة المكرمة بواد عرفة (واد غير ذي زرع)، أو كما يذكر التوراتيون عند بئر السبع (بئر زمزم الذي التقى فيه إبراهيم بالخضر عليهما السلام)، فأين كان مسكن زوجته الأولى سارة وابنها إسحاق؟، ونحن نقول قطعا أنهم عاشوا كلهم رفقته بمكة المكرمة.

" تقول التوراة عن إبراهيم (وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الأموري التكوين) وهذا الإسم (ممرا) تحوير لاسم موقع مهم على حدود واد عرفة والمشعر الحرام يعرف اليوم ب (نمرة) وبه اليوم مسجد

كبير يسمى مسجد نمرة والذي به وإلى جانبه تحتشد جموع مليونية من الحجاج سنويا بيوم عرفة"[1]

ومسجد نمرة الذي كانت بجانبه بيت إبراهيم مع زوجته الأولى سارة وابنه إسحاق، هو المكان الذي استقبل فيه إبراهيم خليل الله الملائكة الثلاث ضيوف الرحمان، أثناء مسيرهم إلى قرى لوط التي لم تكن بعيدة من مكة المكرمة إلى الجهة الجنوبية منها، و هو المكان الذي قرب للملائكة فيه عجلا حنيذا، ثم بشروه بغلام، وفي ذلك البيت الذي صكت فيه سارة وجهها تعجبا:" قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ"[2]

"وتروي التوراة حدوث أمر عظيم بينما كان إبراهيم عليه السلام ساكنا عند بلوطات نمرة حيث (ظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه...)[3]

وتذكر التوراة أن إبراهيم عليه السلام لما توفيت زوجته سارة بكى عليها، وحزن ودفنها في مغارة مكفيلة، بإحدى الحقول التابعة ل

---

1 - نداء السراة اختطاف جغرافية الأنبياء - ص 178

2 - سورة هود - أية رقم 72

3 - نداء السراة اختطاف جغرافية الأنبياء- ص179

"عفرون" أمام مسجد "نمرة" بعد مفاوضات أدت في النهاية إلى دفع مبلغ شراء المغارة إلى عفرون صاحب الحقل بعرفة مقابل السماح بدفن سارة بالمغارة " فوجب[1] عفرون حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام (ممرا) الحقل والمغارة التي فيه "[2]

وهكذا " يتضح أن حقل عفرون هي المزارع والحقول الممتدة أمام بلوطات (نمرة) حيث أسكن إبراهيم سارة وبها يوجد جثمانها الطاهر في مغارة جبلية حسب النص التوراتي"[3]

وأما صاحب الحقول الذي باع لإبراهيم عليه السلام مغارة مكفيلة التي بمزارعه، فهو حجازي من أهل مكة واسمه الكامل" عفرون بن صوحر الحجازي"[4]

وقرية الأربع (لاربعا) التي دفنت بها سارة، فهي بجانب جبل عرفة التي بها حقول عفرون بن صوحر الحجازي.

ومن الجميل أن ارتبطت هذه الأسماء بالذاكرة الشعبية القديمة للجزائريين، وأطلقوا على الكثير من المدن والقرى إسم (لاربعا) تبركا

---

1 - وجب / استقر عليه الأمر وثبت

2 - العهد القديم سفر التكوين 23

3 - نداء السراة اختطاف جغرافية الأنبياء 182

4 - نداء السراة اختطاف جغرافية الأنبياء ص 183

ببيت إبراهيم الشريف الطاهر، كما توجد مدينة العفرون أيضا بالجمهورية الجزائرية.

وعفرون بن صوحر هو الذي حرفه اليهود إلى حبرون، وادعوا زورا أن هذه القرية توجد بفلسطين.

وهكذا يتضح للعيان أن أهل إبراهيم، وذريته كما صرح القرآن الكريم - كلهم عاشوا وماتوا عند مكة المكرمة، ولم ينتقل منهم أحد أبدا إلى الشام، ولم يقل أحد ذلك من الصحابة والتابعين، إلا ما تداوله اليهود بين أيديهم، وعنهم نقل خبر انتقال إبراهيم إلى الشام، وكانت ذرية إسحاق الذين من نسله بنو إسرائيل بمكة وضواحيها، ثم انتقلوا إلى بادية مجاورة ناحية الجنوب، وكثر نسلهم العربي هناك، ومن هذا المعني يفتخر الشاعر جرير[1] فيقول:

أَبــونا أَبــو إِســحاقَ[2] يَجمَــعُ بَينَنــا ... أَبٌ كــانَ مَهــدِيّاً نَبِيّــاً مُطَهَّــرا

وَمِنّــا سُــلَيمانُ[3] النَــبِيُّ الَّــذي ... دَعـا فَـأُعطِيَ بُنيـاناً وَمُلكـاً مُسَـخَّرا

وَموسى وَعيسى[4] وَالَّذي خَرَّ ساجِداً ... فَأَنبَتَ زَرعـاً دَمـعُ عَينَيـهِ أَخضَـرا

---

1 - جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر عربي أدرك الخلافة الراشدة وعاش بالعصر الأموي توفي سنة110 هـ

2 - يذكر جرير أن جده إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وهذا يعني عروبتهما

3 - سليمان عليه السلام من ذرية إسحاق ويعقوب وهو عربي

4 - يذكر هنا أن موسى وعيسى من جملة أجداده وفي هذا إشارة إلى عروبتهما أيضا

وَيَعقـوبُ[1] مِنّـا زادَهُ اللهُ حِكمَـةً وَكـانَ اِبنُ يَعقـوبٍ[2] أَميناً مُصَـوَّرا
فَيَجمَعُنـا وَالغُـرَّ أَبنـاءَ سـارَةٍ أَبٌ لا نُبـالي بَعـدَهُ مَـن تَعَـذَّرا
أَبـونا خَليـلُ اللهِ وَاللهُ رَبُّنـا رَضـينا بِمـا أَعطـى الإِلـه وَقَـدَّرا
بَـنى قِبلَـةَ[3] اللهِ الَّـتي يُهتَـدى بِهـا فَأَورَثَنـا عِـزّاً وَمُلكـاً مُعَمَّـرا

وسواء ولد إبراهيم بنجد حسب الدراسة الأولى، أم باليمن مثلما تقول الدراسة الثانية، فإن المؤكد أن مقام إبراهيم الدائم هو بنص القرآن الكريم بمشاعر مكة المكرمة بين البيت الشريف وعرفة كما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين.

وبعد هذا العرض والتفصيل في رحلة إبراهيم عليه السلام ومقامه بمكة المكرمة، "لك أن تتساءل لماذا يفعلون ذلك. لماذا يريدون نقل مسرح مكة والمشاعر إلى فلسطين"[4]

03- تاريخ العرب من خلال قصة يوسف الصديق عليه السلام

وقصة يوسف عليه السلام من أعجب القصص القرآني وأحسنها كما قال تعالى " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

---

1 - النبي يعقوب بن إسحاق هو الملقب بإسرائيل

2 - يقصد يوسف عليه السلام والأمين على خزائن الأرض كما ورد في القرآن الكريم

3 - يشير إلى أن كل هؤلاء الآباء الذين ذكرهم أبناء مكة المكرمة وليسوا أبناء أي بلد أخر.

4 - نداء السراة اختطاف جغرافيا الأنبياء - ص 183

هَٰذَا القرآن وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ"[1] ثاني ماورد في القصص القرآني المشير إلى حكم الفراعنة في بلاد العرب، بعد قصة إبراهيم عليه السلام، وإنما وقع الاختيار على هذه القصة كونها تصور جوانب مهمة من حياة المجتمع العربي في الفترة الإبراهيمية، فمن مظاهر الشرك والأرباب المتفرقة في الأرض والتي تفاجأ بها نبي الله يوسف عليه السلام في المدينة التي دخلها بغير إرادته ودون أن يعرفها مسبقا " يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"[2] إلى مختلف السلوكات النفسية للمجتمع العربي سواء على مستوى الرجال أو على مستوى النساء، من تناقل أخبار الناس في البيوت أو في الشوارع، و من غيرة وإغراء على المعصية "قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ.."[3]

ومن بهتان وكيد، وتآمر لتحقيق المصلحة الذاتية، وحسد وتدبير مكائد " ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ"[4]وانتقام شخصي بسبب ذيوع الخبر بين

---

1 – سورة يوسف الآية رقم 3
2 – سورة يوسف أية رقم 39
3 – سورة يوسف أية رقم 32
4 – سورة يوسف– الآية رقم 9

نسوة المدينة "وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَا ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ[1]

والسورة تكشف لنا ألوانا من المظاهر الاقتصادية والاجتماعية التي سادت مجتمع الجزيرة العربية آنذاك، مثل اعتمادهم على الأمطار الموسمية في الإنتاج الزراعي والفلاحي، وادخار الغلات استعدادا للأزمنة العصيبة، و التكافل والتضامن بين مختلف الأقاليم العربية عند حلول الشدائد والنكبات، كالقحط العام الذي ضرب اليمن و تأثر به النجديون والحجازيون، والوسائل التي يستخدمونها في نقل المؤونة الغذائية والمناسبة للبيئة الطبيعية وتضاريس الجزيرة :"وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ"[2]

ولنعد إلى القصة من بدايتها، فإن يعقوب عليه السلام قد كان هو وأبناؤه– كما عرفنا – بمكة المكرمة بعرفة، وربما أنزاح لظروف المعيشة قليلا باتجاه الجنوب من مكة المكرمة، وحدث الذي قصه علينا المولى تعالى لابنه في القرآن الكريم من بشارة الرؤيا وغيرة إخوته وكيدهم له مثلما توقع أبوه يعقوب وحذر منه ابنه.

وبعدما أجتمع أمرهم، واتفقت كلمتهم، على رميه في جب عميق، ونفذوا خطتهم التي بيتوا أمرهم عليها، اقتضت حكمة البارئ

---

1 –سورة يوسف – أية رقم 32

2 – سورة يوسف– أية رقم 82

جل وعلا أن لم تمض عليه لحظات قلائل حتى اتفق ذلك وقدوم نفر مسرعين السير (سيارة)، فحملوه إلى مدينة مصر، وباعوه هناك عند أول دخولهم لها بدراهم بخس معدودات "وقيل إنهم باعوه بعشرين درهما، ثم اقتسموها- وهم عشرة- درهمين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن، لأن الدراهم حينئذ- فيما قيل- إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهما لم تكن توزن، لأن أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية"[1].

وقيل إن عزير[2] هو الذي باعه بمصر للعزيز "وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابن عَبَّاسٍ"[3]

ويورد الطبري إسم عزيز مدينة مصر اليمنية الذي طلب من زوجته أن تحسن إليه وتكرم مثواه "فَإِنَّ إسمه- فِيمَا ذُكِرَ عَنِ ابن عَبَّاسٍ- قطفير حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ إِسْمُ

1 - الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص35

2 - هو المشار إليه في قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله) ولعله لأجل إنقاذه يوسف من البئر ادعت اليهود ذلك.

3 - الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص35

الَّذِي اشْتَرَاهُ قِطْفِيرَ.وَقِيلَ إِنَّ إسمه طِّفِيرُ، بْنُ رُوحَيْبٍ، وَهُوَ الْعَزِيزُ، وَكَانَ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ "[1] وكان الملك الذي يحكم ذلك الإقليم الذي به مدينة مصر اليمنية "بتع بن زيد بن عمرو بن همدان "وأولد بتع الملك ابن زيد علهان ونهفان الملكين وأمهما جميلة بنت الصوار بن عبد شمس"[2]وهو الذي رأى رؤيا سبع بقرات.

وأما نائبه فهو الملك (رايان بن الوليد) من عماليق العرب: "وَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِيقِ، كَذَلِكَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ"[3].

ويروي أنه لما صدقت معجزة يوسف عليه السلام في تعبيره الرؤيا وصارت مدينة مصر اليمنية بفضل تدبيره هي التي تنقذ الشعوب المجاورة لها النجدية والحجازية علاوة على اليمنية من مجاعة محققة مهلكة، أمن بتع بن زيد مع يوسف وأعلن إسلامه اقتداءا به "وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى آمَنَ وَاتَّبَعَ يُوسُفَ عَلَى دِينِهِ، ثُمَّ مَاتَ وَيُوسُفُ بَعْدُ حَيٌّ"[4]

1الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص35

2 الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج 10ص 35

3 - الطبري ابن جرير/ تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص35

4 - الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص36

غير أن نشوان بن سعيد الأندلسي يرجع نسب الملك الذي رأى الرؤيا إلى عشيرة أخرى هم "أل ذي يقدم" من بني الصوار (الصواورة) الذين توارثوا الملك صاغر عن كابر، وعرفوا بالسيرة الحسنة والعدل بين الناس، علاوة على شهرتهم بالجود والكرم "وفي أيام ذي يقدم وفي سنو يوسف عليه السلام، قحط البلاد واتصل عليها الجدب، وغارت العيون. وفي هذه الحطمة اعتفد الناس باليمن، ويقول أهل اليمن: إنْ النواضح اتخذت، وذلك أنْ أهل اليمن لم... من مصر، رثى لهم من بعد السفر، فقال: أين أنتم من النواضح ووصفها لهم...آبار النواضح، فكل بئر بقية باليمن من ذلك العهد عتد، لا تنضب ولا تنضب وتحول، وتسمى العادية واليوسفية"[1]

وقد عرف الملك اليقدمي الصواري بالإحسان إلى الرعية والاهتمام بشؤونهم المعيشية "بتع بن زيد صاحب السد سد بتع. فملك بتع بن زيد وحسنت سيرته ورضى بذلك بنو الصوار، وقربها جميعاً وأدناهم وآثرهم، فكان له الإسم ولهم الجسم"[2]

ويعده خير الدين الزركلي واحد من أقيال اليمن العظام، وأصحاب المشورة والرأي المعدودين، وقد طال ملكه حتى اتصل بزمن

---

1 – نشوان بن سعيد الأندلسي / المرجع السابق ص30

2 – نشوان بن سعيد / نفس المرجع

الملك الرائش "بتع بن زيد بن عمرو بن همدان، من كهلان: ملك يماني، من الأقيال. ينسب إليه سدّ بتع بين صنعاء وأرض همدان. تولى الملك بعد أبي شرح ولم يزل في عقبه إلى أن قام الرائش"[1]

وحادثة القحط والجفاف، وقعت بأرض اليمن وبالحجاز، وانتشر الجراد بهما نتيجة ذلك، مما انعكس سلبا على الحياة المعيشية للناس، وكان يوسف عليه السلام قد أدرك من خلال رؤيا الملك أنه سيحدث ذلك، ولذلك طلب تعيينه وزيرا على إقليم (خزائن الأرض باليمن) قبل حلول القحط والجفاف، وقد تم له ما طلب" **وفي بعض أخبار اليمن القديمة أنه لما قحط القطر في زمان يوسف عليه السلام،** وألحت الجراد، ساءت أحوال اليمن والحجاز ونجد، لأنها أرض معلقة لا سوح فيها، فأمر بتع ابنيه علهان ونهفان أن يكتبا للناس إلى خزنة الملك بمصر، **وهو الوليد بن الريان من العماليق** الأولى، فكتبا إلى العزيز بمصر وهو يوسف عليه السلام في حفظ من ينتشر إليه من المسترسلين ببضائعهم ونعمهم وعروضهم وورقهم. فخرج الناس على كل صعب وذلول، وكثير من أزوادهم الجراد. فلما رآهم يوسف أوى

---

1 - الزركلي خير الدين/ الأعلام ج2 - دار العلم للملايين- ط 15 – 2002 م - ص43

لهم من بعد الشقة ورثى لهم من الضرة، فأمرهم باتخاذ النواضح ووصفها لهم، وعادوا فاحتفروا النواضح، فكل بئر من ذلك العهد باليمن فهي العتد العدّ التي لا تنكش ولم يزالوا يمتارون مع ذلك طول تلك المدة"[1]

منطقة خزائن الأرض باليمن

واختلفوا في تحديد المدينة أو الإقليم الذي كان يسمى على عهد يوسف عليه السلام بخزائن الأرض، فبينما تذكر بعض المصادر التاريخية العربية أنه هو أرض (الحداء)الذي تسكنه قبيلة مراد اليمنية بناحية ذي جرة (جد الجرايرية) وتسكنه قبيلة خولان أيضا " والحداء من مراد ومخلاف ذي جرة وخولان يسمى خزانة اليمن "[2]

ويرى آخرون بأنه إقليم زراعي أخضر، يمتد من مدينة ذمار إلى ذي رعين والسحول[3] وهو يجمع مدن "ذمار ورعين والسحول مصر اليمن، لأن الذرة والشعير والبر يبقى في هذه المواضع المدة الكثيرة[4]

وتورد النصوص التوراتية في سفر التكوين الإصحاح 45 إسما

---

1 – الهمداني الحسن بن أحمد ا/الإكليل ج10 ص 35

2 – الحموي ياقوت / معجم البلدان ج5 ص69

3 – سيأتي معنا هذا أثناء الحديث عن تحديد موقع مدينة مصر اليمنية

4 الحموي ياقوت / معجم البلدان ج 5ص 69

أخر على أن "جاسان" (جازان حاليا) هي المصر التي حلت بها سنين الجفاف، والتي استوزر بها يوسف عليه السلام، وبها أوى أبويه وإخوته: "هكَذَا يَقُولُ ابنك يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. انزل إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ. فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ"

وفي أثناء رحلته التي قادته إلى اليمن في غضون القرن الهجري السابع، وجد ابن المجاور الدمشقي هناك قبيلة باسم: "بنو يوسف واليوسفيين في الحجرية "[1]

وسورة يوسف غنية باللطائف الفريدة والإشارات المفيدة، كونها انطوت على جوانب مهمة لمختلف مناحي الحياة العربية التي سادت عصر نبي الله يوسف الصديق القريبة من عصر جده إبراهيم عليه السلام، وقد صدرها المولى تعالى بوصف القرآن على أنه "عربي" تلميحا بأن كل ما دار فيه من حوار، وشخصيات، وحوادث، وما إلى ذلك، لا يخرج عن إطار البيئة التي تتحدث اللسان العربي.

---

1 - فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 76

04- التاريخ العربي القديم من خلال قصة موسى عليه السلام

موسى بن عمران[1]، من أعظم شخصيات بني إسرائيل الذين اصطفاهم الله تعالى وهداهم واجتباهم وأعدهم لحمل أعباء الدعوة، وتبليغ الرسالة، وبوأهم مقام النبوة لتخليص بني إسرائيل من كيد أل فرعون، والأخذ بهم إلى جادة الصواب.

وقصة موسى وفرعون من أكثر قصص القرآن الكريم ذكرا وتكرارا، وموعظة واعتبارا وقد ذكروا للغرض في ذلك لطائف وحكم كثيرة، ليس هذا موضع بسطها والكلام عليها.

" وكان من أكثر القصص ورودا في كتاب الله الكريم، قصة نبي الله موسى عليه السلام، وهي قصة شيقة طويلة تضمنت عددا من أسماء الجبال، والأودية والمياه، اختلف العلماء في تعيينها والتعريف بها، غير أن الغالبية العظمى منهم كانوا يعتقدون أن وقائع القصة جرت بمصر الحالية أو بفلسطين، من غير الاعتماد على نص أن صريح من القرآن والسنة أو برهان قاطع، وإنما مجرد الراويات التي أطلق عليها "الإسرائيليات (اليهوديات) التي دخلت على حين غفلة إلى تراثهم

---

1 - هذا هو الإسم الحقيقي لوالد لموسى عليه السلام وقد حاول بعضهم تزوير إسم والده عمران فرد عليه ابن عباس- كما في صحيح البخاري- (كذب عدو الله وإنما هو موسى ابن عمران). وقد صدق في وصفه عدو الله.

وتفسير قرأنهم"[1]

عاصر موسى عليه السلام أطغى فراعين الأرض على الإطلاق، وواحدا من الجبابرة الذين عتو في الأرض عتوا كبيرا الوليد بن مصعب الـذي بالـغ في الطغيـان و" قـال أنا ربكـم الأعلـى"، وتمـالأ وحشـر ونادى، وازداد بطرا لما استخف قومه —العمالقة–فأطاعوه.

وحياة موسى عليه السلام كلها حافلة بالمواقف الجليلة والقضايا الهامة، لكننا في موضوعنا هذا سنقتصر على واحدة من تلك القضايا ذات العلاقة الوطيدة بالدراسة.

تتمثل هـذه القضية في طلب موسى عليه السلام من قومه بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة (مكة المكرمة) ومواجهة بقية الفراعنة بأرض الحجـاز، الـذين كـانوا يفسـدون في أرض الحـرم برفقـة قـومهم العماليق (القوم الجبارين).

سنتحدث عن ذلك، بعيدا عن زيف المبالغات التي ينقلها بعض الإخبارين عن اليهود دون أدنى مراعاة لما تحتمله العقول، والتي تذكر أن موسى وجند بني إسرائيل فاق عـددهم يوم اجتيـازهم البحر 600 ألف دون احتساب النساء والذراري والدواب !!وأن جند فرعون كان

---

1 - صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص280

تعداده تلك الساعة نحو مليونان وستمائة ألف جندي دون احتساب المراكب والعربات!! والحقيقة أنه لو صحت هذه الرواية لما احتاج الأمر أصلا إلى معجزة، لأنه قد يتوقف الماء عن الجريان إذا ما قطعته هذه الجموع البشرية دفعة واحدة، وكذلك بقية الأرقام المهولة على نحو ما روي أن جنازة هارون عليه السلام حضرها 400 ألف رجل ممن يتسمون فقط بهارون!! وجميعهم من قبيلة واحدة هي بني إسرائيل!!، في الوقت الذي لو عد فيه أفراد بني إسرائيل جميعهم لم يبلغوا هذا الرقم الخيالي، حتى وإن احتسبنا معهم دوابهم وأغنامهم ومتاعهم! بالنظر إلى زمانهم، والفترة القصيرة تشكلت فيها قبيلة بني إسرائيل التي بين يوسف وموسى عليهما السلام.

ومثال ذلك أيضا ما يروى أن عدد السحرة الذين انتقاهم فرعون لمناظرة موسى عليه السلام بلغ نحو 35 ألف!! وجميعهم برتبة "سحار عليم"! حسب المعيار الذي اشترطه فرعون وقد التقوا في لحظة واحدة وبساحة واحدة لمناظرة موسى وأخاه هارون!!، ليس بالحجة والحديث فحسب، وإنما باستعراض المهارات، ولتمييز ما هو من جنس السحر وما هو من جنس المعجزة، والكل في الساحة العامة أمام الجمهور الغفير من المتفرجين الذين يقدر أنهم بأضعاف مضاعفة على ما جرت عليه العادة! ناهيك عدد المترقبين للنتيجة من بعيد!!... وغيرها من الأساطير التي لا يؤمن بها سوى ضعاف المؤرخين .... وهي شبيهة بالخبر الذي رووه عن ذي القرنين من أنه

سمي بذلك لبروز نتوءتان من نحاس في جبينه !!...

إن مثل هذه الهرطقات المضحكة المنتجة على النمط السينمائي لا تستحق إعادة ذكرها في المؤلفات، حتى لا يكون ذلك مدعاة للإشادة والاعتراف بها، وإنما هي الحاجة إلى فضح مثل هذه المبالغات التي طفحت بها بعض كتب الإخباريين....

ولنعد إلى قضية بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام.

فمن المعروف أن يوسف عليه السلام هو الذي أدخل إخوته "بني إسرائيل" مدينة مصر أمنين، وآواهم –كما رأينا سابقا– في قصر المملكة هناك، ورفع أبويه على العرش، وتحقق له صدق ما رأى في صباه.

لكن بتقادم الزمن تناسل بنو إسرائيل وتكاثروا، وتكاثرت أغنامهم ومواشيهم التي هي المصدر الأول في رزقهم على ما تذكر التوراة.

وبنو إسرائيل قبيلة عربية رعوية بدوية بسيطة، ضاق بهم أل فرعون ذرعا، واستاءوا من تكاثرهم ومزاحمة مواشيهم في المراعي، فصاروا يكيدون لهم المكائد، ويدسون لهم الدسائس والمؤامرات، معتبرين إياهم شعبا أخر دخيلا عنهم، لا يحق لهم مشاركتهم العيش إلا في كنف الذل والاستعباد. وصاروا يؤذونهم ويسومونهم سوء العذاب

(وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)[1] .

في ظل هذه الظروف العصيبة التي ألمت بقبيلة بني إسرائيل، نشأ موسى وشب في قصر فرعون بمدينة مصر، التي خرج منها – على ما وصف القرآن الكريم "فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ"[2] باتجاه مدين

(مدينة بدع بأرض السعودية حاليا)، وقدر له أن يتزوج هناك على المهر الذي اشترطه صهره شعيب عليه السلام[3]. والقرآن يذكر أن حساب الأعوام عندهم كان بمواسم الحج (قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[4] وهو ما يمكن أن يفيد بملمحين اثنين : الارتباط الوثيق بأبرز معالم السنن الإبراهيمية – الحج إلى بيت الله الحرام — سيما مع قربهم بعهد إبراهيم عليه السلام، وعروبة البيئة التي نشأ بها موسى عليه

---

1 – سورة البقرة – أية رقم 49

2 – سورة القصص– أية رقم 21

3 – ينظر كتاب أرض مدين ج1 للرحالة المستشرق هاري سانت جون فيليبي تعريب د. يوسف مختار أمين — مكتبة العبيكان — الرياض – 2003 ط 1. وقد ذكر في كتابه أنه شاهد أثار مدين بمدينة بدع السعودية (وإسم مدين ومتحف النبي شعيب مثبت على خريطة قوقل)

4 – سورة القصص أية 27

السلام، فالمجتمع العربي كان يؤرخ آنذاك بمواسم شد الرحال إلى المدينة المقدسة - مكة المكرمة - على نحو التأريخ الهجري الذي اعتمده الصحابة الكرام ابتداء بهجرة المصطفى إلى المدينة المنورة .

طلب موسى من بني إسرائيل دخول (مكة المكرمة):

جاء في الذكر الحكيم أن موسى عليه السلام قد طلب من قومه بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة (مكة المكرمة) التي كتبها الله لهم من لدن أبيهم إبراهيم عليه السلام الذي كان مكلفا برعاية بيت الله وتطهيره للعاكفين، والركع السجود" يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ"[1]

والتعبير بالدخول يفهم منه قربهم من حدود أرض الحرم المقدسة، إذ لو كانت بعيدة عنهم لاستخدم تعبيرا أخر على نحو سيروا أو اذهبوا وهي ألفاظ مستعملة في القرآن الكريم.

لكن جواب قومه لم يكن بالمستوى المطلوب، أو بالشكل المتوقع من موسى عليه السلام فقد أجابوا بما يفهم منه التماطل وراء ذريعة وجود عماليق هناك (إن فيها قوما جبارين)، وطلبوا تأجيل أمر الدخول

1 - سورة المائدة أية 21

إلى غاية خروجهم من الأراضي المقدسة " قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ)[1] .

وبعد هذا الرد (المؤسف) لم يكن أمام موسى عليه السلام سوى التضرع إلى الله تعالى بالدعاء وطلب مفارقتهم نهائيا "قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ"[2] .

وكانت النتيجة عقاب إلهي يقضي بحرمان بني إسرائيل من رؤية أرض الحرم المباركة- مكة المكرمة - أربعين سنة كاملة:**"** قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "[3]

ولم يكن جميع بني إسرائيل قد أجمعوا على عصيان نبيهم موسى عليه السلام، فالقرآن الكريم يحدثنا عن رجلين صالحين، خطبا في القوم للتأكيد والإلحاح على وجوب الانصياع لأوامر نبي الله موسى عليه السلام " قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ[4]" 1."

1 - سورة المائدة أية 24

2 - سورة المائدة أية 25

3 - سورة المائدة: 26

4 -سورة المائدة -أية 23

وهما فيما تذكر التوراة" يوشع بن نون وكالب بن يوفنا" وكان من نتيجة ذلك استجابة فئة من بني إسرائيل، ودخلت أرض الحرم المكي وقاتلت الجبارين تحت قيادة يوشع بن نون، ثم كالب بن يوفنا، وانتهت بالنصر.

و تروي السرديات الإسلامية أن هناك سببان دفعا موسى عليه السلام إلى دعوة بني إسرائيل لدخول الأراضي المقدسة، الأول بلوغه خبر إفساد العماليق بأرض الحرم - الأرض المقدسة- "وكانت العماليق قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله، وعتوا عتوا كبيرا، فبعث إليهم موسى ـ عليه السلام ـ جندا من بني إسرائيل فقتلوهم بالحجاز وأفنوهم" و الثاني غزو "الضحاك "كبير الفراعنة الذي تسميه العجم "بوراسف" لبني إسرائيل أثناء مكوثهم بمنطقة عسير وجبال السراة التي بها جبل الطور كما سنرى الضحاك بن معد هو الذي أغار على بني إسرائيل في أربعين فارسا من[2] تهامة

وقيل إن هناك سببا أخر، وهو أن الزمن كان موسم الحج

---

1 - ابن النجار محمد بن محمود -الدرة الثمينة في أخبار المدينة ج2- مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة- ص 324

2 الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج 1 - ص 107. بالهامش غزو موسى للحجاز والإكليل ج1 ص10. وكذلك الدرة الثمينة لابن النجار.

وانتدبهم موسى لدخول مكة المكرمة لأداء مناسك الحج فرفضوا خوفا من العماليق الذين كانوا بها تلك الفترة.

قتال يوشع بن نون[1] القوم الجبارين (العماليق):

تفيد مصادر التراث العربي أن جيش بني إسرائيل بقيادة يوشع قد تم له النصر على العمالقة قتلا وصلبا في مدة تراوحت بين الستة والسبعة أشهر "فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة"[2]

ويتفق ابن خلدون مع الطبري وكل المؤرخين المسلمين حول المدة التي حاصر يوشع مدينة أريحا "وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا إلى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور"[3]

ويروي ابن الأثير نقلا عن التوراة تفاصيل النصر "فلما كان السابع تقدّموا إلى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا، ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار،

1 - حاول البعض نسبة هذه الوقائع إلى أرض اليمن، لكن الصواب أنها جرت بالحجاز على مشارف بداية أرض الحرم الأرض المقدسة

2- الطبري ابن جرير/ تاريخ الرسل والرسالات ج 1 ص 228

3 - ابن الأثير عز الدين / الكامل في التاريخ ج 1 د-ار الكتاب العربي، بيروت – ط1 / 1997م - ص 202

فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا، ثمّ ملك الشام جميعه فصار لبني إسرائيل وفرّق عمّاله فيه[1]"'"لما دخل بنو إسرائيل أرض الحجاز وكانوا قد انتصروا على العماليق هناك – القوم الجبارين "' وبعث بعثا من اليهود[2] إلى الحجاز وأمرهم ألا يستبقوا من العماليق أحدا بلغ الحلم فقدموا عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم نبنما. وكان يقال له: الأرقم بن أبي الأرقم، وأصابوا ابناً له شاباً من أحسن الناس [3]، فضنوا به عن القتل، وقالوا: نستحييه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فأقبلوا وهو معهم، وقبض الله موسى قبل قدومهم[4]"

ومات في هذه الفترة موسى عليه السلام، وكان هارون عليه السلام مات قبله أيضاً '[5]'

والذي يفهم أيضا من مختلف السرديات أن حرب بني إسرائيل لم تقضي على كل العماليق فبعضهم ألقي القبض عليهم أحياء "وأما من بقي من الجبارين فإن إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ

---

1 – ابن الأثير/ المصدر نفسه ج1 ص 76

2 – الصواب أن بني إسرائيل هم الذين دخلوا الأرض المقدسة كما يشهد القرآن بذلك وليس اليهود. فاليهود لم تكن لهم أية علاقة بموسى عليه السلام ولا بيوشع عليه السلام.

3 – نجل ملك الجبارين الذي كان يحكم المدينة زمن موسى ويوشع عليهما السلام

4 – ابن النجار/ الدرة الثمينة ج2 ص 324

5– ابن النجار /الدرة الثمينة ج2 ص 324

بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مال بهم متوجهاً إلى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم إياها، فهم البرابرة، وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم"[1]

حرب يوشع ضد العماليق بأرض الحجاز وليس بفلسطين:

تتجه أغلب روايات المؤرخين على اختلاف مشاربهم إلى أن حرب بني إسرائيل بقيادة يوشع ضد الجبارين جرت وقائعها بأرض فلسطين.

يقول ابن الأثير:" ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام (يقصد فراعنة الجبارين) وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا، ثمّ ملك الشام جميعه فصار لبني إسرائيل وفرّق عمّاله فيه، ثمّ توفّاه الله فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنّا، وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة"[2]

ويقول المسعودي: " إن العماليق وهم العرب البادية الذين كانوا

1 - ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ج1ص76

2 - ابن الأثير عز الدين / المصدر السابق ج 1 ص100

بالشام " ويقول أيضا: " سار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك إلى يوشع بن نون؛ فكانت بينهم حروب إلى أن قتله يوشع، واحتوى على جميع ملكه، وألحق به غيره من الجبابرة والعماليق، وشَنَّ الغارات بأرض الشامِ ... وقيل: إن يوشع بن نون كان بدء محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد أَيْلَةَ نحو مدين، ففي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي:

ألم تـرَ أنَ الْعَمْلَقـي ابـن هوبـرِ	بأَيْلَـةَ أمسـى لَحْمُـهُ قـد تمزَّعـا
تداعت عليه من يهود حَجافل	ثمـانين ألفـاً حاسـرين ودرًعـا
فأمسـت عـداداً للعمـاليق بعـده	علـى الأرض مشـياً مصـعدين
كـأنْ لم يكونوا بين أجبال مكة	ولم يَـرَ راءٍ قبل ذاك السَّـمَيْدعا

وممّن ساعد العماليق في حربهم ضدّ بني إسرائيل بلعم بن باعوراء "[1]

وقال المقريزي:" وأمّا العمالقة فهم بنو عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وبهم يضرب المثل في الطول وعظم الجثمان"[2]. قال:" نزل أرض أيلة: أيلة بن هوبر بن عمليق، واتّصل ملكها في ولده، وكان السميدع سمة لمن ملك منهم إلى أن كان آخرهم السميدع

---

1 - المسعودي مروج الذهب / المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

2 - المقريزي تقي الدين/ لمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1- دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة- ط 1- 1418 هـ- ص 64

بن هوبر الذي قتله يوشع بن نون لما زحف بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالقة بأيلة فغلب يوشع السميدع، وانتزع ملكه "[1] وبمثل ذلك جاء عن أبي عبيد البكري والذهبي وابن خلدون وغيرهم.

ولا شك أن هؤلاء كلهم قد ألجأتهم ظروف انعدام المصادر التاريخية القديمة، ودفعت بهم إلى الاعتماد على ما هو مدون في نصوص أهل الكتاب.

ولذلك فالجدير ألا نناقش مؤرخي الإسلام فيما هم فيه معذورون، وإنما الأولى في النقاش أن يتجه رأسا إلى الرواية التوراتية أو بمعنى أدق: أغراض توجيه النصوص التوراتية من طرف مدونيها على هذا النحو.

الغرض من إلصاق تهمة الجبارين بالفلسطينين:

والإشكال المثير للإنتباه، لماذا ينعت الشعب الفلسطيني لدى مدوني التوراة بتلك النعوت المثيرة للجدل، فيقولون عنهم تارة يبوسيين، و تارة كنعانيين، ثم يلصقون بهم زورا صفة **"**القوم الجبارين**"**!.

---

1 - المقريزي تقي الدين / المصدر نفسه ج 1- ص42

بالمختصر المفيد، أن هذه الأوصاف، أريد بها تشويه سمعة وتاريخ الشعب العربي الفلسطيني من طرف تيار الاستشراق اللاهوتي المتصهين، وإخراجه في قالب يصوره للرأي العام على أنه مفسد في الأرض، وفي الأراضي المقدسة بحد ذاتها – التي بحسب الفكر الصهيوني – لا يحق له البقاء فيها، وأن الأنبياء حاربوه لأجل ذلك، وبذلك يكون طريدهم وطريد بني إسرائيل بأمر الله!

وهكذا حتى يتم شحن وحشو مخيلة العامة بمعتقدات فاسدة، وصور وهمية عن الشعب الفلسطيني البريء عبر هذا السيناريو المفبرك المفضوح!

والسؤال الذي يمكن أن نواجه به منتجي هذا السيناريو المفبرك:

إذا كانت حروب موسى ويوشع ضد العمالقة بفلسطين مثلما يدعي اليهود الذين دونوا النصوص التوراتية، فما علاقة دخول الألقاب اليمنية على الخط في النصوص المتعلقة بحرب يوشع ضد العماليق مثل:"السميدع" و"بلعم بن باعوراء "و"إفريقش بن صيفي" و"البربر"وما علاقتها بقبائل حمير وصنهاجة وكتامة وزناتة؟...

الواقع أن أرض فلسطين لم تعرف أبدا هذه الحروب بين الأنبياء والجبارين، وأن العمالقة لا علاقة لهم بالغساسنة العرب الذين هم نواة الشعب العربي الفلسطيني أصلا.

وأمام هذا الوضع التأويلي التوراتي، كان لابد من عرض القضية على محك الرواية التفسيرية الحقيقية لا كما يزعم اليهود ومن انخدع بمراوغاتهم.

حقيقة العمالقة (القوم الجبارين)

وهاكم الحقيقة في موضوع "الجبارين" ومنازلهم:

لقد "كانت منازل العماليق موضع صنعاء اليوم، ثم خرجوا فنزلوا حول مكة ولحقت طائفة منهم بالشام وبمصر، وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب إلى العراق والبحرين إلى عمان "[1]

"وكان منهم الأرقم ملك الحجاز تيماء وإليه أغزى موسى بعثه الذي ندبه إلى الحجاز.. "[2]

وأطلق عليهم العماليق لأن نسبهم يعود إلى: " عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وبهم يضرب المثل في الطول وعظم الجثمان"[3]

وها هو إسم الملك الذي كان يحكم العماليق – الجبارين وهو منهم – بأرض الحجاز والذي على عهده عاث الجبارون فسادا في أرض الحرمين مكة والمدينة، وهو الضحاك الذي يسمى عند العجم ببوراسف"وكان ملك الحجاز رجلا من العماليق يقال له الأرقم وكان الضحاك المعروف عند العجم ببوراسف والعماليق وهو فيما بين موسى وداود عليه السلام

---

1 - ياقوت الحموي/ المصدر السابق ج 5 - ص442 ويبدو أن الحموي تحرى الحقيقة لكن تأثر بغيره حينما أضاف مصر والشام.

2- الهمداني/ الإكليل ج1 ص107

3 - المقريزي تقي الدين / المصدر السابق ج1 ص64

وكان منزله بقرية يقال لها الترس ويقال أنه من الأزد"[1]

والسبب الذي جعل التوراتيين يعتبرون فلسطين هي أرض الجبارين لأن" التوراة الحاضرة دونت بمراعاة الإسقاط الجغرافي لمسرح التوراة على فلسطين وبلاد الشام، فيما المسرح الفعلي هو اليمن "[2]

الفراعنة: أصلهم والخلاف فيهم

تعلق بالقصص القرآنية المذكورة سالفا: إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام شخصيات ترددت في السرديات التوراتية والإسلامية على السواء باسم فرعون، على أساس أنه الحاكم المتجبر في عصر أولائك الرسل الكرام.

ففي القرآن الكريم تكرر ذكر فرعون في قصة موسى عليه السلام مرات عديدة، ذكر أغلبها على جهة الإفراد (فرعون)، وذكر أحيانا على جهة الجمع أو العائلة (آل فرعون).

ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة نقرأ قوله تعالى: "وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ"[3]

---

1 - ياقوت الحموي /معجم البلدان ج5 ص442

2 - فرج الله صالح ديب /التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 67

3 - البقرة - أية رقم 49

" فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ [1]

" وَقَالَ رَجُل مُّؤمِن مِّن ءَالِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمَٰنَهُۥ أَتَقتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَد جَآءَكُم بِٱلبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُم وَإِن يَكُ كَٰذِبا فَعَلَيهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِق يُصِبكُم بَعضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُم إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهدِي مَن هُوَ مُسرِف كَذَّاب" [2]

" ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ" [3]

الرأي الأول: الفراعنة هم الرعامسة (الرواية التقليدية)

السائد في معتقد العامة أن فرعون هو أحد ملوك مصر الأهرامات في الدولة الحديثة التي ضمت أسرتين الأسرة التاسعة عشر والعشرون، ابتداء بـ: رمسيس الأول إلى رمسيس الحادي عاشر. المعروفون باسم الرعامسة.

وقد توافقت معظم المصادر التفسيرية والتاريخية على هذا القول من ثم فلا حاجة إذا من سرد الأقوال المتفقة على هذا، لأن أغلب المصادر

1 - سورة القصص- أية 8

2 - سورة غافر- أية رقم 28

3 - سورة غافر - أية رقم 46

والمراجع القديمة منها والحديثة قد أجمعت على هذا الرأي، وهكذا ترسمت وترسخت في المخيلة العامة أن فرعون موسى ينتمي إلى أسرة الرعامسة الذين حكموا مصر الأهرامات وأنها هي البلد الذي استقر به يوسف عليه السلام، وأنها هي التي كانت تعج بالسحرة، وأنها بها حل العقاب الإلهي (القمل والضفادع والدم في تسع آيات)، وقد صار هذا كله من المسلمات التي مجرد الاقتراب منها هو عملية جريئة.

مناقشة الرأي الأول:

أول ما ينبغي أن يناقش به أنصار هذا الاتجاه أنه:

إذا كان الفراعنة هم أنفسهم الرعامسة كما تدعي الرواية التقليدية، فما علاقة قوم تبع بهم في النص القرآني الآتي " وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاء مُّبِينٌ إِنَّ هَؤُلاء لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ"[1]

1 - سورة الدخان- الآيات من 30 إلى 37

وهـذا الـرد الإلهـي الاسـتفهامي التعجـبي جـاء جـوابا علـى استبعاد بني إسرائيل البعث والنشور

طبعا والمقصودون بالخطاب هم بنو إسرائيل وليس المشركين بـدليل ذكـرهم صـراحة ثم صـفاتهم الـتي مـن بهـا الله تعـالى علـيهم كتفضيلهم على العالمين، وإنزال الكتاب عليهم وهذه الصفات تنطبق على بني إسرائيل ولا علاقة للمشركين بها.

فالمشركون لم يفضلهم الله على العالمين، ولم ينزل عليهم الآيات.

ومعلوم أن قوم تبع كان موطنهم باليمن بالجزيرة العربية والمقارنة بهم مستحيلة إذا كان بنو إسرائيل يقيمون خارج جغرافية الجزيرة العربية.

وإذا كـان الـبعض يتـبجح وراء مسـألة بنـاء الأهرامـات علـى أساس أنها هي الصرح الذي أمر فرعون وزيره هامان ببنائه ليطلع إلى إله موسى استهزاء به فالجواب عنه من عدة أوجه:

أن هـذا الطلـب لم يكـن علـى جهـة الحقيقـة، بـل علـى جهـة التعريض ولأجل إضحاك الملأ مبالغة في استفزاز وإيذاء موسى وأخاه هــارون، لأن فرعــون يعلــم يقينــا صــدق دعــوى موســى عليــه

السلام"وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ"[1]

وأن الأهرامات لم تبن من طين محروق، وهذا واضح من جهة الهندسة والعمران والآثار، ثم أن الله تعالى قد أخبر أنه دمر كل صنائع أل فرعون ولم يترك لهم أثر "وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ "[2]

وفرعون وصفه الله تعالى أنه تباهي على قومه بكثرة الأنهار التي تجري قريبا من قصره "وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[3] وكثرة الأنهار والجنات معروفة في جزيرة العرب.

الرأي الثاني: الفراعنة هم العماليق العرب

أن الفراعنة هم سلسلة ملوك جبابرة ينتمون إلى جنس العماليق العرب، توزعوا في أقطار مختلفة من الجزيرة العربية، وتداولوا الملك منذ

1- سورة النمل- الآية رقم 14

2-سورة الأعراف- الآية رقم 137

3 - سورة الزخرف- الآية رقم 51

زمن إبراهيم عليه السلام إلى زمن هلاكهم على عهد موسى وهارون ثم يوشع عليهم السلام، لا كما يزعم أنصار الرواية التقليدية من أن فرعون هو شخص واحد أو اثنان " فالفراعنة من العماليق من نسل أرفخشد ولاوذ وكان مقامهم الحرم وأكناف مكة واليمامة، ولسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي"[1]

وموطن الفراعنة الأول هو اليمن "وأهل صنعاء يقولون أنه خرج من وادي ضهر، سبعة من الفراعنة "[2] " وقيل أن فراعنة مصر كانوا من العماليق، كان منهم فرعون إبراهيم عليه السلام وإسمه **سنان بن علوان**، وفرعون يوسف عليه السلام، وإسمه **الريان بن الوليد**، وفرعون موسى عليه السلام وإسمه **الوليد بن مصعب**، وكان ملك الحجاز رجلا من العماليق يقال له **الأرقم** وكان الضحاك المعروف عند العجم **ببوراسف** والعماليق وهو فيما بين موسى وداود عليه السلام وكان منزله بقرية يقال لها الترس ويقال أنه من الأزد"[3]

وبعد أن ساق ابن إسحاق الخلاف في أصل الفراعنة، خلص إلى

---

1 - أحمد عيد /جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة – - مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر – المعادي – مصر - ط1 – سنة 1996 م- ص 30

2 - الهمداني /الإكليل ج2 ص 94

3 - ياقوت الحموي /معجم البلدان ج5 ص442

القول: "والمشهور أنهم- أي الفراعنة من العماليق منهم الريان بن الوليد، ويقال **الوليد بن الريان**، وهو الملك في عهد يوسف والوليد بن مصعب الذي كان في عهد موسى وإليه أرسل، منهم سنان بن علوان"[1]

والظاهر أن الفراعنة كان فيهم بطش شديد، وشر كبير، وقد تميز كل واحد منهم بنوع من تلك الشرور" حيث كان في قصر ريدان – القلعة – بلاطة لتعذيب العامة المتمردة ويرى الهمداني أن الآيات في سورة الشعراء قد دلت على ذلك "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ[2] ... [3]

أسماء الفراعنة

وها هي القائمة الإسمية للفراعنة كما يوردها علماء الإسلام خلافا لما في التوراة "وكان فرعون مصر في أيامه **قابوس بن مصعب** بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت **امرأته آسية ابنة مزاحم** بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات وقام أخوه **الوليد ابن مصعب** مكانه

1 – المقريزي تقي الدين / المصدر السابق ج1 ص 63

2 – سورة الشعراء –الآيات 128- 130

3 – فرج الله صالح ديب/ التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 33 – وينظر أيضا الإكليل للهمداني ج2 ص 94

وكان أعتى من قابوس وأكفر وأفجر، وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة، قال ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه، وكان عمر عمران مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة، ثم صار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون، وكان من مولد موسى إلى أن خرج ببنى إسرائيل عن مصر ثمانون سنة، ثم صار إلى التيه بعد أن عبر البحر فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة "[1]

وها هي مواقع الفراعنة الموزعين في مختلف أقاليم جزيرة العرب "والعرب تسميه **الضحاك**، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضادا، والهاء حاء، والقاف كافا، وإياه عنى حبيب بن أوس بقوله:ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان في الدنيا ولا قارون بل كان كالضحاك في سطواته ... بالعالمين، وأنت أفريد ونوهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانئ في قوله : وكان منا الضحاك يعبده ... الخابل والجن في مساربها قال: واليمن تدعيه.حُدِّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ- فيما ذكر من أمر الضحاك هذا- قال:

1 الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات/ ج1 - ص 271

والعجم تـدعي الضـحاك وتـزعم أن جمـا كـان زوج أختـه مـن بعـض أشـراف أهـل بيتـه، وملكـه علـى الـيمن، فولـدت لـه الضـحاك.قـال: واليمن تدعيه، وتزعم أنـه مـن أنفسـها، وأنـه الضـحاك بـن علـوان بـن عبيد بن عويج، وأنه ملك على مصر أخاه **سنان بن علوان** بن عبيد بن عويج، وهو أول الفراعنة، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن "[1]

ويقـول محمـد ابـن إسـحاق عـن فرعـون موسـى: **"الوليـد بـن مصعب الذي** كان في عهد موسى، وإليه أرسل "[2]

ويذكر الهمداني أيضا **"**وكان منهم الأرقم ملك الحجاز تيماء، وإليه أغزى موسى بعثه الذي ندبه إلى الحجاز.. **"**[3]،ومن القرى التي عدها الهمـداني أيضـا قرية باليمن تحت إسم فرعـان[4]، ولا يستبعد أن يكـون هـذا الـذي ذكـره أصـحاب السـير والمغـازي في نسـب وأسمـاء الفراعنـة موافقـا للصـواب، ذلـك أن مـن الأسمـاء التي ورد النهـي عنهـا لمشـابهتها

1- الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص 179

2 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج 1 ص 106

3 -الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج1 ص107

4 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج2 ص 87

بأسماء الفراعنة إسم "الوليد" وقد رويت في ذلك أحاديث [1]

أنبياء آخرون في الجزيرة العربية

ابن الديبع يعدد أنبياء اليمن

يقول ابن الديبع في باب محاسن وفضائل اليمن:" ومن خصائص اليمن أنه ظهر فيه جماعة من الأنبياء والسادات والأولياء "[2]

ومن أنبياء الله الذين بعثوا في اليمن أيضا حسب ابن الديبع "شعيب وهو الذي أرسله الله تعالى إلى مدين"[3] ومدين التي تسمى اليوم (بدع) بالسعودية، هي التي أرسل إليها نبي الله شعيب، وقومه هم أصحاب الأيكة.

ومعلوم أن ابن الديبع هنا يتحدث عن شعيب أخا مدين أصحاب الأيكة، ولا يقصد شعيب جبل حضور الذي قتلته اليهود، وكان سبب سبيهم من طرف إمبراطور أشور "بختنصر".

كما نلاحظ أيضا أن ابن الديبع اليماني لم يذكر جميع الأنبياء

---

1 – أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سميتموه بأسماء فراعنتكم

2 – ابن الديبع عبد الرحمان الشيباني / نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية – دار الفكر– دمشق ط 1 – سنة 1992م – ص 96

3 – ابن الديبع عبد الرحمان الشيباني /نشر المحاسن اليمانية– ص 98

الذين عاشوا وبعثوا في اليمن، واكتفى بذكر عدد قليل منهم على جهة الاستدلال من أن اليمن بلد مبارك بظهور الأنبياء والصالحين به، منهم هود وصالح وشعيب بن مهدم وشعيب أخا مدين وذي القرنين والخضر عليهما السلام وبعض التابعة الصلحاء ...

حسان بن ثابت يعدد أنبياء اليمن

لكن حسان بن ثابت الأنصاري اليمني الأصل المدني الدار، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم والمنافح عنه، قد عدهم مفتخرا بهم في حضرة الصحابة، ولربما قال ذلك في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، ومما جاء عنه مفتخرا بأنبياء اليمن

فَنَحنُ بَنو قَحطانُ وَالمِلكُ وَالعُلا ... وَمِنّا نَبِيُّ اللَهِ هودُ الأَحابِرِ
وَإِدريسُ ما إِن كانَ في الناسِ مِثلُهُ ... وَلا مِثلُ ذي القَرنَينِ أَبنارِ عابِرِ
وَصالِحُ وَالمَرحومُ يونُسُ بَعدَما ... أَلاتَ بِهِ حوتٌ بِأَخلَبَ زاخِرِ
شُعَيبٌ وَإِلياسُ وَذو الكَفلِ كُلُّهُم ... يَمانونَ قَد فازوا بِطيبِ السَرائِرِ[1]

فمن أنبياء اليمن الذين ذكرهم حسان "ذو الكفل" الذي يسمى في التوراة ب حزقيا، ويونس وهو من أهل اليمن، خلافا لمن نسبه إلى أهل "نينوى" في العراق، فإن ذلك غير ثابت، ومنهم إلياس خلافا لمن نسبه إلى لبنان، ولم يعرف نبي بعث من أهل الشام، وذكر أيضا

---

1 - موقع الديوان https://www.aldiwan.net/poem21584.html

"ذو القرنين" وهو من صلحاء أهل اليمن، ولا علاقة له بأي بلد أخر سوى الفتوحات التي قام بها بمشرق الأرض ومغربها.

لقد عدد حسان بن ثابت الأنصاري هؤلاء الأنبياء العرب مفاخرا بهم على أنهم من أجداده، ومنه يتضح أن جزيرة العرب هي موطن الرسل والرسالات.

ابن المجاور الدمشقي وأثار الأنبياء في اليمن والحجاز

لما زار ابن المجاور الدمشقي اليمن" وجد قبر دانيال في قرية هارون في حضرموت ودانيال نبي توراتي وصاحب سفر، ووجد أكمة سليمان في منطقة الجند في تعز، بينما بيت هارون والهارونية وقبائل نوح في حضرموت، وجبل إسحاق في أنس، وجبل أيوب شمال شرق صنعاء، وبنو يوسف واليوسفيين في الحجرية، واليهودية في خبان، والداوودية شمال الزيدية، وأل داوود في الجوف، وحجور ودايان في حراز"[1]

أثار داوود وسليمان بالحجاز واليمن

وأثناء الكلام على مسيرة نبي الله داود عليه السلام نجد الهمداني يحدثنا عنه أنه "لما أصاب داوود عليه السلام الخطيئة، اعتلال اختلف إلى غيران للعبادة، حتى وقع على جبل حيراء قرب مكة "[2]

---

1 - فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 96

2 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج2 ص99

ومن أشهر الآثار الدالة على مملكة سليمان عليه السلام كانت باليمن " المخلاف السليماني " الذي لازال إلى اليوم، ووادي النمل الذي حذرت فيه نملة من جنود سليمان كما في القرآن الكريم بإقليم رداع باليمن، وبها أيضا سجد سليمان شكرا لله عقب هذه القصة[1]

وحصن صرواح العظيم الذي يرجع بناؤه إلى نبي الله سليمان عليه السلام، يقول الحموي عنه "حصن بناه سليمان باليمن"[2] وقصر غمدان الذي استقبل فيه سليمان ملكة سبأ في القصة المشهورة، ولا يزال قائما إلى اليوم، يقول عنه ابن المجاور الدمشقي " وأول من ابتدأ في بنائه سام بن نوح عليه السلام، لما بنى صنعاء، ويقال سليمان بن داود عليهما السلام"[3] وأما" في السراة نجد عددا من الأسر والعشائر العريقة نسبا وموطنا تنتسب إلى سليمان أو إلى أبيه داود، عليهما السلام، فمن الأسر الشهيرة في سراة قحطان (أل داود) من أهل بلدة الحرجة جنوب سراة عبيدة، و(أل سليمان بن داوود) هي أشهر العشائر في سراة القرن

---

1 - ياقوت الحموي / معجم البلدان ج3 ص40 وقيل "إنما هو وادي النمل المعروف إلى يومنا هذا شرقي الطائف، وقد مربه نبي الله سليمان عليه السلام في طريقه إلى مكة" قشاش أحمد بن سعيد /المرجع السابق ص 390

2 الحموي ياقوت / معجم البلدان ج5 ص419

3 - إبن المجاور الدمشقي / تاريخ المستبصر- - مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة- سنة 1996م- ص 205

و(آل داود) من أشهر بطون قبيلة أل حوالة جنوب سراة غامد، وآل سليمان أحد بطون بني دحيم شرق المخواة"[1]

ويقول الهمداني:" عمرو الأعصم الشاعر الذي رثى سليمان عليه السلام في قصيدة مطلعها:

إن يكن الدهر أتى عامدا لخير أمرك الدهور الخوالي[2]

وفي معجم البلدان للحموي "عدن فيها المربون من ولد هارون" وأنها سميت بذلك نسبة إلى " عدن بن سنان بن إبراهيم"[3]و" بيت السبطان"[4] ناحية صنعاء عاصمة اليمن اليوم.

ومما جاء عن عمرو بن معدي كرب الأصبحي اليمني مفاخرا بقبيلة الأصابح بأنهم قتلوا عزير[5] الذي ادعت اليهود أنه ابن الله:

أولئك معشري وهم حبالي وجدي في كتيبتهم ومجدي
هم قتلوا عزيرا يوم لحج وعلقمة بن سعد يوم نجد[6]

---

1 - قشاش أحمد بن سعيد/ ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة ص 425-426

2 الهمداني الحسن بن أحمد /الإكليل ج2 ص75

3 - ياقوت الحموي /معجم البلدان - ج2 ص368

4- الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج1 ص 346

5 - لم يرد أي نص أو دليل على أنه نبي أو ولي أو رجل صالح وإنما هو مجرد شخص زعمت فيه اليهود ذلك

6 - ياقوت الحموي / معجم البلدان ج5 ص 14

وأصابح اليمن من أشهر القبائل المعروفة بمدينة لحج وتهامة، وإليها ينتسب الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب.

وبصنعاء أيضا:" قبر روبيل بن يعقوب بظاهر[1] جهران"

وباليمن أيضا بيت الأشول بن قيس الذي قيل عنه هو نفسه الملك طالوت المذكور في القرآن الكريم والذي زاده الله بسطة في العلم والجسم وهو الذي قتل جالوت[2] .

وهذه الآثار والشواهد هي التي دفعت مرجيليوث[3] إلى القول: "أن الوطن الأصلي للعبريين لم يكن في شبه جزيرة طور سينا، وإنما كان في اليمن"[4]

وهكذا يزداد الأمر تأكيدا على أن "المسرح الفعلي للأنبياء – أنبياء التوراة – كان في اليمن وفي محيط صنعاء"[5]

---

1 – ياقوت الحموي/ معجم البلدان ج 5ص70

2 – يقال أنه هو الذي تنتسب إليه قبيلة زناتة اليمنية والتي يقال لها أيضا جناتا و جالاتا والجالوتيين.

3 – من كبار الباحثين الأوربيين المنصفين منتصف القرن التاسع عشر

4 – المجلة الثقافية الجزائرية /مجلة الكترونية على الرابط السابق

5– فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 31

أنبياء التوراة عرب

ويدلل فرج الله صالح على عروبة الأنبياء بالخطاب القرآني ذاته " إن الأمثلة والأحداث التي تناولتها آيات القرآن الكريم، لم تكن بعيدة عن معرفة العرب بها والذين كانت تخاطبهم، وبالتالي فالمئات من الآيات التي تناولت أنبياء العرب الذين وردوا في التوراة، والذين لم يرد ذكرهم شعيب صالح. إنما خاطبت معرفة العرب بالمكان أيضا كما خاطبت اليهود أيضا "[1]

" وأنبياء التوراة أنبياء عرب، وإنك لن تعثر على معنى كلمة التوراة إلا في القاموس العربي"[2]

ومما جاء في مقدمة كتاب الباحث اللبناني كمال الصليبي هذا كتاب بحث في جغرافية التوراة على أسس جديدة، وخلاصته إن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديدا في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن ..."[3]

---

1 – فرج الله صالح ديب /التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 34

2 – فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية / ص 23

3 –كمال الصليبي /التوراة جاءت من جزيرة العرب– مؤسسة الأبحاث العربية– بيروت – سنة 2007 المقدمة

الفصل الثالث: في المدن والقبائل واللهجات

أولا: في المدن والأماكن المذكورة في القرآن الكريم:

01 – مصر والخلاف فيها:

والكلام على قصص أنبياء الله إبراهيم ويوسف ومن بعدهما موسى عليهم السلام يقودنا حتما إلى الحديث عن "مصر" التي ذكرتها التوراة كإحدى محطات رحلة إبراهيم عليه السلام، وذكرت كذلك في بعض السرديات الإسلامية، وذكرت خمس مرات في القرآن الكريم بين قصتي يوسف وموسى عليهما السلام.

فالقرآن الكريم يعرض مشهد فرعون وهو ينادي بطغيان وتجبر في قومه وبحضرة نبي الله موسى عليه السلام وأخاه هارون: "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[1]

من هنا نجد أن القرآن الكريم " قد حسم موضوع ارتباط فرعون بمنطقة تعرف باسم مصر "كما يتبين في الآية أعلاه .ولكن هل جاء في القرآن الكريم أيضا ما يؤكد أن مصر التي أدعى فرعون ملكها هي عينها جمهورية مصر العربية جغرافيا أم أن مصر القرآن هي إسم لموقع أخر عناه

---

1 – سورة الزخرف أية رقم 51.

فرعون، وأن ثمة تشابها في الأسماء أدى بنا إلى الاعتقاد بأن بلاد وادي النيل هي المعنية بـ" مصر" الوارد ذكرها في التنزيل"[1] فهل مصر التي حل بها نبي الله يوسف عليه السلام وأصبح بها وزيرا على خزائن الأرض، ومصر التي حكمها أل فرعون وخلص بها موسى بني إسرائيل من كيد الفراعنة، هي نفسها جمهورية مصر الحالية التي تسمى بمصر الأهرامات، أم هي في مكان أخر يطلق عليه هذا الإسم أيضا.

ومصر المذكورة في القرآن الكريم ليست دولة بل هي "كما أوضح القرآن الكريم موقع جغرافي عبر عنه بالقرية كما جاء على لسان إخوان يوسف في حوارهم مع أبيهم يعقوب عليه السلام (وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا)"[2]

وعلى هذا الأساس أصبح في القضية ثلاثة أقوال:

القول الأول: مصر على الرواية الشائعة:

ويعتمد على الشائع من القول استنادا إلى ما جاء لدى مترجمي النص التوراتي[3] ومن وافق هذه الرواية من أن "مصر" المقصودة في

---

1 - نداء السراة اختطاف جغرافيا الأنبياء ص 40-41

2 - نداء السراة اختطاف جغرافيا الأنبياء- ص 41

3 - فرق بين مترجم النص والنص الأصلي بعينه. ذلك بأن نصوص العهد القديم لا يوجد بها "مصر " وإنما "مصريم".

رحلات الأنبياء والمذكورة على هذا الأساس في القرآن الكريم هي مصر الأهرامات الواقعة بإفريقيا التي تسمى اليوم جمهورية مصر العربية.

وهو رأي الجمهور من المؤرخين والكتاب والمفسرين ومن تأثر بهم من العامة، ومستندهم أنه لا يعرف في الدنيا بلد أو مكان أخر تسمى بهذا سوى مصر التي نعرفها حاليا.

وأن هذا هو السائد من القول الذي تناقله الناس، وحفظوه كابر عن كابر، وآخر عن أول، ولو كان ثمة بلد أخر لثبت في المسطور أو في المحفوظ.

ويورد الدكتور جواد علي أوجه الانتقادات اللاذعة الموجهة لأنصار الفرضيات الأخرى المعارضة لهذا القول من أنها- حسب رأيه - تثير مشكلات خطيرة، كونها تتعارض مع الشائع من الروايات المتعارف عليها، وأنها تتعارض مع ما جاء في الكتب السابقة المكتوبة والمسموعة التوراة والتلمود على وجه الخصوص.. "ويشير هذا الرأي مشكلات خطيرة لقائليه ولعلماء التوراة، فرأي "شرادر" و"ينكلر" وأضرابهما المذكور يتعارض صراحة مع الرأي الشائع عند اليهود وعند التوراة والتلمود والمنشأ والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع،

ويتعارض كذلك مع رأي أهل الأديان الأخرى في الموضع نفسه، ولم يلق هذا الرأي رواجًا بين الباحثين"[1]

الانتقادات على هذا الرأي:

وفي مقابل هذه النظرة، وجهت انتقادات إلى أن مصر لم تذكر بهذه الصيغة في التوراة، وإنما ذكرت بصيغة (مصريم)[2] وهذه اللفظة تحمل معنى أخر غير معنى مصر البلد فالجمع في اللهجة العبرية الصنعانية السبئية ينتهي في الغالب بالياء والميم، ليصبح المراد: "عشائر المصريين" للدلالة على مجموعات بشرية تعيش حياة حضرية وليس مدينة أو بلد معين، وأن إسقاطها على مصر القطر الإفريقي المعروف هو ضرب من ضروب التعسف من باب تحريف الكلم عن مواضعه، الذي مارسه اليهود قبل البعثة النبوية وقبل النزول القرآني، كما توجهت الانتقادات أيضا إلى تلك الآراء التفسيرية التي فهمت من القرآن الكريم على أساس أن "مصر" هي مصر الأهرامات الحالية وذلك من عدة أوجه منها:

---

1 - جواد علي /المرجع السابق - ج3 ص 23

2 - قيل من معانيها أيضا مصر اليم أي مدينة مصر التي هي أقرب إلى البحر.

أن مصر المذكورة في القرآن الكريم هي الموصوفة بأن لها أبواب وقد أوصى يعقوب بنيه "يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة"[1]

ولا يعقل أن يطلق هذا على الدول بمساحاتها الشاسعة وإنما المراد ما كان معتاد في مدن العالم قديما (المدن المحصنة) ولها أبواب معلومة معدودة يدخل منها الزوار والسائحون والتجار والبعثات وغيرهم، وأن مصر وصفت بالقرية في القرآن الكريم على لسان بني إسرائيل (أبناء يعقوب) أثناء محاورتهم أبيهم، ولم توصف بالدولة:" واسئل القرية " وبنو إسرائيل عبروا عنها بالقرية تشبيها للقرية التي كانوا بها لأنهم عاشوا بالبادية كما قال لهم أخوهم يوسف:" وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ"[2]

وإذا كانت مصر الحالية هي المعنية في قصة يوسف عليه السلام، فكيف تتكرر الرحلات من فلسطين إلى مصر من طرف إخوة يوسف مرات عديدة، وفي أوقات وجيزة.

وهل يعقل أن يسير الأسباط في جموع المحتاجين إلى المؤونة من المتأثرين بجائحة الجفاف وبواسطة "البعير" من مدن فلسطين والأردن

---

1 - سورة يوسف- الآية رقم 67

2 -سورة يوسف- الآية رقم 100

ليعبروا البحر وصولا إلى المدن الشمالية الساحلية لجمهورية مصر الحالية من أجل طعام يوزع بالصاع والصاعين" وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ"[1]

ثم إذا كانت الرؤيا التي رآها ملك مصر المؤولة بالقحط الذي سيضرب مصر وادي النيل، فما علاقة بقية شعوب الشام والعراق بالقحط والجفاف؟.

وفي أثناء مكثه بالسجن بضع سنين، انتقد يوسف عليه السلام عبادة الأرباب المتفرقة (الأصنام) التي كانت تعج بها تلك المدينة (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)[2]

ومعلوم أن مصر الأهرامات لم تكن تعرف هذه الألوان من طقوس وعبادة الأرباب المتفرقين في الأرض (الأصنام). بل كانت على التوحيد الفطري، ويستحيل أن تكون دعوة يوسف على هذا الشكل لأناس لا يعرفون عبادة الأصنام، ولم يروها أبدا وهم لا يؤمنون بها أصلا، وهذا اللون من الطقوس كان منتشرا بجزيرة العرب.

وتاريخ مصر القديم لا يوجد به أية إشارة تؤكد وقوع الجفاف

---

1 - سورة يوسف- أية رقم 82

2 - سورة يوسف- الآية رقم 39

الذي دام سبع سنوات، كما لا تجد به أية معلومة تفيد بأن نهر النيل قد جف كل هذه المدة الزمنية، ولو كان ذلك لصار معلوما، سيما وأن حضارة مصر القديمة قامت على وادي النيل وسميت به.

وأن موسى عليه السلام رد على قومه بني إسرائيل حينما أنزل عليهم الله المن والسلوى وطلبوا استبدال ذلك بالبصل والثوم والعدس والبقول والقثاء بالنزول إلى مصر، فإذا كان شعب بني إسرائيل كما يزعم اللاهوتيون التوراتيون بأرض فلسطين، فكيف يؤمرون بالإنتقال رجالا ونساء وأطفالا من دولة إلى دولة أخرى لأجل تحقيق مطلب بسيط كهذا ؟.

قالوا وقد أخبر الحق جل علاه أنه لما أهلك فرعون وجنوده بمصر قد تركوا وراءهم جنات وعيون "كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ"[1] وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أرض اليمن[2] التي تسمى بالخضراء ولا يوجد أبدا مثل هذا بصحراء سيناء .

ومن أوضح الأدلة التي عضدوا بها مذهبهم، أن مصر الحالية

---

1 - سورة الدخان- الآيات من 25 إلى 29

2- جغرافية اليمن التاريخية ليست هي جغرافية اليمن اليوم

وإلى زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن تعرف بذلك (مصر) بل كانت تسمى (بلاد القبط)، ويشهد لهذا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى حاكم مصر آنذاك وسلطانها (المقوقس) وقد خاطبه بالصفة التي يتمتع بها دوليا:" إلى المقوقس عظيم القبط" ولم يسمه (عظيم مصر)، ولم يذكر في رسالته له أن تلك البلاد كانت موطن الفراعنة الذين أهلكهم الله قبلك بظلمهم وفسادهم في الأرض، كما لم يذكر أن أنبياء الله قد كانوا بها من قبل، لاسيما أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس كانت بعد نزول السور التي ذكرت مصر والأنبياء الذين ذكرت في قصصهم مصر(موسى ويوسف).

ومما استند إليه أنصار هذا الرأي أيضا:" أن المؤرخ اليوناني هيرودوتس المخطوط حوالي 488 ق.م قد تكلم عن فلسطين والفلسطينيين دون أن يأتي على ذكر كلمة يهودي أو عبري كما تكلم عن مصر الدولة بإسم إيجبت أي القبط وليس بإسم مصر"[1]

القول الثاني: مصر على المعنى اللغوي:

لكن الذين أكدوا أن مصر المقصودة في القرآن الكريم ليست هي مصر الحالية (الإفريقية) وقالوا:

1- فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص73

- أن مصر لفظة هي محمولة على المعنى اللغوي لا غير، فكل ما تمصر فهو "مصر" أي أن كل إقليم محروس ومحصن يسمى "مصر" ومن هذا المعنى يقول" عمرو بن الحارث بن عدي " وهو من شعراء الجاهلية:

حلوا بمصر فاستعادوا ملكهم.. فرسا وأصبح ذكره قد لاحا "[1]

وقال أخر مفاخرا باليمن أرض المدن المتمصرة يهجو مضر التي ليس بها مدن "أمصار"

تسومكم قحطان خسفا وفارس وأنتم جنوح كالفراخ لذي وكر
مباحين لا بدو لكم تمنعونه ومالكم من عقر دار ولا **مصر**

ومن هذا المعنى وصفوا مدينة " عضدان **مصر** باليمن معروف"[2]

القول الثالث: مصر مدينة قديمة بالجزيرة العربية:

يرى أصحاب هذه الفرضية أنها مدينة معينة كانت تحمل هذا الإسم "مصر"، وهي لا تخرج عن إطار اليمن أو الحجاز.

ولهؤلاء أراء أيضا مختلفة في تعيين موقع مدينة "مصر".

فذهب فريق منهم إلى أنها مدينة (جازان) اعتبارا من أنها

---

1 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج1 ص 208

2 - أبو عبيد عبد الله البكري/ معجم ما استعجم ج3 - عالم الكتب-بيروت ط3 - 1403 هـ- ص920

المدينة المذكورة صراحة في النصوص التوراتية في قصة يوسف عليه السلام في سفر التكوين الإصحاح 45 من العهد القديم:

"هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ. فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ"

واستنادا إلى ما جاء في النصوص التوراتية فإن مصر" تقع تحديدا جنوب أرض **الكنعانيين (الكنانيين)** الذين تنتشر ديارهم على امتداد سهول تهامة وسواحل البحر الأحمر من مكة حتى منطقة جازان"[1]

وجازان المذكورة في النصوص التوراتية هي التي كانت " تخضع لسلطة الفراعنة، وهم ملوك من العرب العماليق الذين كانت لهم السيادة آنذاك على معظم أنحاء الجزيرة العربية بدءا بصنعاء حتى مكة ويثرب"[2]

وقال آخرون بل هي "معين الجوف باليمن" المدينة المتمصرة عاصمة الفراعنة القدامى والتي تبوأت مركزا اقتصاديا مرموقا تخطت

1 – قشاش أحمد بن سعيد/ المرجع السابق ص 382

2 – قشاش أحمد ين سعيد/ المرجع السابق ص 383

شهرته الحدود الدولية، وبالإضافة إلى جغرافيتها وتضاريسها المعروفة بالجبال والأنهار والقلاع والحصون وما يحيط بها من مزارع، وأن بها عشائر مصريم الحضرية المذكورة في أسفار التوراة.

يقول الدكتور جواد علي **"**وقد أثارت "معن مصرن" "معين مصران"، جدلًا شديدًا بين العلماء، ولا سيما علماء التوراة، فذهب بعضهم إلى أن "مصر""مصرايمMizraim" الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرونها نهر النيل، بل أريد بها "معين مصران"، وهو موضع تمثله "معان" في الأردن في الزمن الحاضر. وأن لفظة "برعوpero" التي ترد في التوراة أيضًا لقبًا لملوك مصر، والتي تقابلها لفظة "فرعون" في عربيتنا، لا يراد بها فراعنة مصر، بل حكام "معين مصران" وأن عبارة "هاكر همصريتHagar HamMisrith " بمعنى "هاجر المصرية"، لا يعني "هاجر" من مصر المعروفة، بل من مصر العربية، أي من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها "معن مصرن" وأن القصص الوارد في التوراة عن "مصر" وعن "فرعون، هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية...**"**[1]

وقال آخرون بل إنها إقليم عسير، نظرا لما كان يزخر به من رصيد

---

1 جواد علي / المرجع السابق ج3 ص 122وقد انتقد جواد علي أنصار هذا الرأي ولم يرتضيه

تاريخي هام وقد كانت هذه المنطقة من أهم المناطق السياسية والاقتصادية على عهد أنبياء بني إسرائيل بحسب البحث الذي قامت به جمعية التجديد الثقافي[1]

ومما نقل عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في تفسير قوله تعالى "اهبطوا مصرا " أن بني إسرائيل كانوا في جبل السراة بعسير ثم أمروا بالنزول إلى المدينة التي بسفح جبل الطور هناك.

وقيل أن إسم **"**مصر**"** كان يطلق على الإقليم الزراعي الأخضر الممتد من مدينة ذمار الأثرية إلى السحول إلى مدينة رعين بالنظر ما كان يتمتع به أيضا من حضارات سابقة[2].

أما الباحث اللبناني الدكتور كمال الصليبي فقد وجدها **"**تقع في تهامة عسير أيضا[3]

وأيا ما يكن من الأمر، وسواء مصر يوسف وموسى عليهما السلام محمولة على معناها اللغو ي العرفي أي(المدينة المحروسة المحصنة) أم أنها مدينة معينة بهذا الإسم **فإن المجزوم به قطعا ويقينا**

---

1 - نداء السراة اختطاف جغرافيا الأنبياء من ص 295 الى 306

2 -ينظر الإكليل للهمداني ج2ص 85

3 - كمال الصليبي / التوراة جاءت من جزيرة العرب ص 183

أن" مصر الحاضرة ليست مدينة مصر الأنبياء: إبراهيم وموسى ويوسف"[1] و" أن مصر القرآنية (مصر يوسف وفرعون وموسى) لم تكن قط في أرض واد النيل أو مصر الحالية، إذ لم يستطع أحد من علماء التاريخ والآثار حتى اليوم أن يجد، كما تقدم بيانه، دليلا واحدا يثبت أنها كانت هناك ولن يجدوا لأن موقعها الصحيح لم يكن بأرض وادي النيل، بل في جنوب غرب الجزيرة العربية"[2]

وقد حاول بعض الدارسين المعاصرين الجمع بين كل هذه المدن وبين الدلالة اللغوية، وقالوا جائز أن يراد بها المعنى اللغوي، كما هو جائز أيضا أن تطلق على جميع تلك المدن المتمصرة: (عسير. جازان– معين– الجوف....) وليس هناك ما يمنع ذلك.

وهكذا يستبعد جدا أن تكون مصر الحالية هي نفسها مصر القرآنية والتوراتية، ويؤكد على هذا الاستبعاد الباحث الأكاديمي المصري الدكتور مبروك محمد أبوزيد أنه " يكفي إثبات أن جغرافية جزيرة العرب هي الملائمة لوقوع أحداث التوراة واحتضان شعب إسرائيل، إنما الجغرافية الجبتية ذاتها تنفر بطبيعتها من بني إسرائيل

---

1 – فرج الله صالح ديب /التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 73

2 – قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 384-385

وتاريخهم بحكم طبيعة الجغرافيا والمناطق والقرى والأسماء، وإمكانية الحركة فيما بينها وطبيعة سكان المنطقة ولغتهم والمسميات التي يطلقونها على تضاريس هذه المنطقة، كل ذلك ثبت أنه لا مكان لأحداث التوراة في بلادنا وادي النيل"[1]

02- الوادي المقدس طوى (الموقع الحقيقي والأدلة)

يخبر الحق جل علاه أنه كلم موسى عليه السلام تكليما عند الوادي المقدس طوى:" هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى"[2]

"وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى"[3]

كانت هذه بداية البعثة والتكليف بالرسالة بالنسبة إلى موسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل، وكان ذلك بعدما أكمل مدة

---

1 - مبروك محمد أبو زيد /المرجع السابق ج3 ص6

2 - سورة النازعات الآيتان 15- 16

3 - سورة طه الآيات من 9 إلى 12

المهر التي اشترطها صهره عليه (عشر حجج)، وتزامن ذلك مع بداية أيام الحج" فأمر تعالى أن يخلع نعليه، لأن ذلك المكان طاهر مقدس، إذ هو في أول الحرم، وهو الميقات الوحيد لأهل الحرم من أهل مكة"[1]

يقول ابن كثير " يَقُولُ تَعَالَى :فَلَمَّا أَتاها أَيِ النَّارَ، وَاقْتَرَبَ مِنْهَا نُودِيَ يَا مُوسى وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسى" إِنِّي أَنَا اللَّهُ "[2]وَقَالَ هَاهُنَا إِنِّي أَنَا رَبُّكَ أَيِ الَّذِي يُكَلِّمُكَ وَيُخَاطِبُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو ذَرٍّ وَأَبُو أَيُّوبَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: كَانَتَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ، وَقِيلَ :إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبقعة، وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ :كَمَا يُؤْمَرُ الرَّجُلُ أَنْ يَخْلَعَ نَعْلَيْهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ، وَقِيلَ :لِيَطَأَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ بِقَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ مُنْتَعِلٍ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[3]

وعلى سنة نبي الله موسى عليه السلام سار بنو إسرائيل، وكانوا يحجون بيت الله الحرام بالآلاف، جاء عن عبد الله بن الزبير أنه قال:

---

1 – قشاش أحمد بن سعيد/ المرجع السابق ص 343

2 سورة القصص – أية رقم 30

3– ابن كثير إسماعيل بن عمر/ تفسير القرآن العظيم ج 5 ص44

" إن كانت الأمة من بني إسرائيل لتقدم مكة، فإذا بلغت ذا طوى، خلعت نعالها تعظيما للحرم"[1]

وكذلك دأب الحواريون لما كانوا يحجون بيت الله الحرام مع عيسى عليه السلام، يقول ابن عباس: "حج الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوا حفاة تعظيما للحرم"[2]

و" الطوى كلمة فصيحة وتعني البئر المطوية بالحجارة، ومن أسماء الطوى أيضا العد، بكسر العين، وهي كلمة فصيحة أيضا وتعني الموضع الذي يتخذه الناس ويجتمع فيه ماء كثير"[3]

وهكذا فإنه خلافا للرواية السائدة التوراتية المصدر، والتي تزعم أن الوادي المقدس طوى الذي كلم الله فيه موسى موجود بصحراء سيناء بجمهورية مصر حاليا، فإن الأبحاث والدراسات الأثرية ترى خلاف ذلك، وتؤكد أن الوادي المقدس طوى لا يوجد إلا بمكة المكرمة، وتحديدا حاليا في "حي جرول و"وادي طوى" هو أحد أودية مكة

---

1 - الأزرقي الفاكهي / أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه- ج2 - دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت – ط2 – 1994م - ص 682

2 - قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق 336

3 - عبد الله السواط/ مقال بعنوان: المواقع التاريخية في مكة المكرمة/ جريدة الشرق الأوسط / الاثنين 03 صفر 1434 17 ديسمبر 2012 عدد 12438

الثلاثة التي يتكون منها عمران مكة، وينحدر من بين ثنية المعلاة والثنية القصوى المسماة الخضراء، ويصب في وادي إبراهيم كما حدده البلاذري مارًّا بجرول"

ومنطقة " «جرول» كانت تعرف بأنها «طوى» قبل أن يتغير الإسم كليا، وهو واد من أودية مكة، يسيل في سفوح جبل أذاخر والحجون من الغرب، وتفضي إليه كل من ثنية الحجون – كداء قديما – وثنية ريع الرسام – كدى قديما، ويذهب حتى يصب في المسفلة عند قوز النكاسة – الرمضة قديما – من الجهة المقابلة"[1]

ويتابع الأستاذ الباحث سعد الجودي الشريف أن بئر طوى التي بالوادي المقدس" هي في ذات المكان والموقع الذي اغتسل فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفيها قبر أبي لهب وجبل قعيقعان وغيره من المعالم الأثرية التاريخية المهمة التي عرفت بها مكة المكرمة"[2]

ويقول الأستاذ الدكتور "فواز بن علي الدهاس أن موقع هذه البئر هو الذي بات فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة الفتح، وهي نقطة التوزيع التي وزع فيها عليه الصلاة والسلام جيشه القادم لفتح مكة، فأمر الزبير بن العوام – رضي الله عنه – أن يدخل

---

1 – سعد الجودي الشريف/ جريدة الشرق الأوسط نفس التاريخ والرابط.

2 – جريدة الشرق الأوسط / نفس التاريخ والرابط

مكة في بعض الناس من كداء «الحجون»، وأمر خالد بن الوليد – رضي الله عنه – أن يدخلها من الليط أسفل مكة ومعه من قبائل العرب من غفار وأسلم ومزينة وجهينة، ثم تحرك صلى الله عليه وسلم فاتجه من ناحية أذاخر"[1]

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بات" بذي طَوَى حتى أصبح، ثم دخل مكة وكان ابن عمر يفعله"[2]

و"لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله"[3]...

وبسنة المصطفى أخذ ابن عمر فكان "إذا أقبل بات بذي طوى حتى إذا أصبح دخل، وإذا نفر مرّ بذي طوى، وبات بها حتى يصبح، وكان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك "[4]

والحاصل إذا **"وبما أنه ليس هناك سوى بيت واحد لله على الأرض وهو الموجود في مكة وما حوله بقعة حرام مقدسة، وبما أن**

---

1 – جريدة الشرق الأوسط/ نفس التاريخ والرابط

2 – البخاري محمد بن إسماعيل/ الصحيح /كتاب الحج / باب دخول النبي إلى مكة

3 – إبن هشام/ المصدر السابق ج2 ص 105

4البخاري محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ كتاب الحج/ باب من نزل بذي طوى إذا رجع من مكة

وادي طوى المذكور أعلاه يوجد ضمن هذه البقعة المقدسة فإنه هو الوادي المقدس طوى، الذي اختفى تحت الزحف العمراني الذي مسح كل الآثار الإسلامية في مكة. ولا يمكن أن يكون تكليم موسى تم خارج الأرض المقدسة سواءً قريباً منها أو بعيدا في سيناء الحالية"[1]

الوادي المقدس طوى ضمن الآثار العالمية

"وطبقا لعبد الله السواط، المدير التنفيذي لفرع الهيئة العليا للسياحة والآثار في مكة المكرمة، فإنه سبق أن سجلت بئر طوى من ضمن الآثار المسجلة في الهيئة العامة للسياحة والآثار حسب الأمر السامي الكريم رقم 3212/ م ب بتاريخ 14-4-1429هـ والقاضي بالمحافظة على الآثار وحصرها بما لا يفضي إلى تقديس أو تعظيم"[2]

03- جبل الطور بمنطقة عسير (السعودية)

يقول الله تعالى مقسما بالطور: "والطور وكتاب مسطور"[3]
ويقول: "وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ"[4]

---

1 -مقتطف من تصريح بعض علماء الحجاز - جريدة الشرق الأوسط /نفس التاريخ والرابط

2 - جريدة الشرق الأوسط/ نفس التاريخ والرابط

3 - سورة الطور- آيتان رقم 2- 3

4- سورة التين- الآيات من 1 إلى 3

ويقول: "وإذ أخذنا ميثاقكم وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قالوا سمعنا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ "[1]

ويقول:" وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا"[2] ويقول "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ"[3]

الطور لفظة عربية أصيلة، ودلالتها في المعاجم والقواميس : كل جبل مغطى بالنبات والأشجار، و طور سيناء واحد من جبال منطقة عسير جنوب المملكة العربية السعودية حاليا وهي السلسة الجبلية التي تسمى كلها بالطور، لكن بعضها يضاف إلى القرى والقبائل التي تسكنه فيقال "طور أل حسن"، و"طور اليزيدي" و"طور السودة "الذي هو نفسه طور شنين ويلفظ "طور سنين" من باب إنابة الأحرف عن بعضها لوجود قرية بأسفل هذا الجبل تسمى "سنين" أو "شنين " ويقال للقبائل التي تسكنها قبائل شنوة، ومنها أخذ جبل السودة الذي صعد إليه موسى- إسمها فيسمى إلى اليوم جبل شنوة.

وهذه القبائل التي يطلق عليها شنوة أو شنوؤة: " هي قبائل

---

1 - - سورة البقرة - أية رقم 93، والملاحظ من النص القرآني الكريم الجمع بين حب العجل وذكر جبل الطور.

2 - سورة مريم - الآية رقم 52

3 سورة المؤمنون - أية رقم 20

الأزد[1] شربوا من عيون جبال شن الواقعة في بلاد سراة بني مالك عسير وهي إلى الشمال من مدينة أبها 15 كلم.."[2] وتتكون قبائل شنوة وشنوؤة من "قبائل عسير وقحطان، وشهران ورجال الحجر، وغامد وزهران وشمران وبلقرن وبجيلة وبني الحارث وسنحان"[3] وقد ورد الثناء عليها في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كما تردد ذكرها كثيرا في النصوص الشعرية في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام.

وأما عن سيناء فقيل في معناها الضوء، وهي لفظة مأخوذة من السنا الذي هو الضوء، ومنه قوله تعالى: "يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ"[4]

وأما عن صحراء سيناء التي بجنوب جمهورية مصر الحالية، فهي لم تكن تعرف قديما (زمن موسى) بهذا الإسم، وكان تسمى "ساش" مثلما يقول ابن خلدون وغيره.

---

1 - قبائل الأزد أو شعوب الأزد هي التي كانت تسكن بسبأ بمكان الجنتين عن يمين وعن شمال ثم أصابها سيل العرب فتفرقت في مختلف الأقطار.

2 - علي بن إبراهيم الحربي / المعجم الجغرافي لمنطقة عسير/ ج2 - مكتبة الملك فهد للنشر الأدبي - السعودية - ص 1023

3 - علي بن إبراهيم الحربي /المرجع نفسه ص1032

4 - سورة النور- أية رقم 43

وجبل الطور بمنطقة "عسير " جنوب المملكة العربية السعودية هو الجبل الذي أقسم به المولى تعالى كما في النصوص أعلاه، ومن جانبه نادى الله نبيه موسى عليه السلام وقربه نجيا، وفيه قضى موسى المدة التي ذكرها المولى تعالى في القرآن الكريم، وبه تلقى موسى عليه السلام الوحي من ربه **" أسفار التوراة والوصايا العشر"**، وموقع الطور إلى الجهة الشرقية من قرية خميس مشاط المعروفة بعسير.

وادي الحلي وقرية البقرة عند جبل الطور

و بأسفل جبل الطور بعسير "وادي الحلي " أو "واد حلي بني يعقوب" كما يسمى تاريخيا و "وادي حلي فرعون" كما يسميه أهل المنطقة تنزيها لنبي الله يعقوب عليه السلام عن حلي العجل الذي عبده بنو إسرائيل.

ووادي الحلي نسبة إلى حلي العجل الذي عبده بنو إسرائيل ونسف موسى العجل غضبا وألقى بالحلي المصنوع منها في اليم المجاور فسمي بذلك.

يقول ابن المجاور الدمشقي ت 690هـ عن وادي الحلي" وإنما اشتق إسم حلي من الحلي الذي جمعه السامري من بني إسرائيل أيام هارون بن عمران عليهما السلام وجعل صورة عجل كما قال تعالى

(فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار)"[1]

وبسفح هذا الجبل أيضا قرية البقرة التي وقعت بها القصة القرآنية

04–المصانع

جاء ذكر المصانع في القرآن الكريم مرتبطا بتوهم قوم عاد بخلودهم في الأرض، يقول الله تعالى: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[2] ....

آراء المفسرين في معنى المصانع

وللمفسرين أراء متنوعة في المراد بالمصانع المذكورة في النص القرآني الكريم، فمن قائل أنها جداول ومجاري مائية صغيرة إلى القول أنها منازل، إلى تأويلها بالآبار والمجمعات المائية وغير ذلك، ومن

---

1 – ابن المجاور الدمشقي / المصدر السابق – ص 42

2 – سورة الشعراء – أية رقم 123-135

المعاصرين من حمل المصانع على المعنى الصناعي العصري لإظهار مدى السبق الحضاري للعرب ...

ويبدو أن الإمام الطبري قد حاول جمع واستقراء جميع الآراء المأثورة عن السلف والتي يصب أغلبها في المعنى المراد من المصانع ولو على جهة المقاربة.

"عن مجاهد: وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ: قال: قصور مشيدة، وبنيان مخلد. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جُرَيج عن مجاهد :مصانع: قصور مشيدة وبنيان"[1]

ويقول في بيان وجه أخر من تأويل معنى المصانع: "وقال آخرون: بل هي مآخذ للماء، ذكر من قال ذلك: حدثني الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله مصانع قال: مآخذ للماء"[2]

ثم يعلق الطبري برأيه في الموضوع: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصونا مشيدة، وجائز أن

---

1 - الطبري ابن جرير/ تفسير سورة الشعراء ج 19 ص75

2 - الطبري / تفسير سورة الشعراء ج 19 ص 76

يكون مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع. وقوله: لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون يقول: كأنكم تخلدون، فتبقون في الأرض وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون يقول: كأنكم تخلدون"[1]

ويقول القرطبي "والمصانع الحصون، وقال أبو عبيدة: يقال لكل بناء مصنعة، حكاه المهدوي، وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية، لعلكم تخلدون أي كي تخلدوا، وقيل :لعل استفهام بمعنى التوبيخ أي فهل تخلدون كقولك: لعلك تشتمني أي هل تشتمني، روي معناه عن ابن زيد، وقال الفراء: كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة: كأنكم خالدون باقون فيها"[2]

والمصانع: إسم مخلاف باليمن، يسكنه أل ذي حوال وهم ولد ذي مقار "[3] ..

قال عنترة: وفي أرض المصانع قد تركنا...لنا بفعالنا خبرا مشاعا

---

1 - الطبري/ تفسير سورة الشعراء ج 19 ص 76

2 - القرطبي أبو عبد الله/ تفسير سورة الشعراء ج13 ص124

3 - عزلة كبيرة من أعمال ثلا فيها جبل حضور الشيخ

و"مصنعة ماريا من أعمال ذمار ومصنعة الشلالة"[1] والمصانع جمع مصنعة وهي كثيرة باليمن لا تحصى.

والمقصود أنها قلاع شديدة الحصانة، وقد انتقل هذا النوع من القلاع إلى أرض الحجاز بواسطة بعض قبائل اليهود مثل خيبر التي كانت تستعمل مثل هذا البناء.

05 – قرية أهل السبت[2]

وأثناء تجواله بأرض اليمن يروي ابن المجاور الدمشقي أن أحد الحرفيين اليهود الذين يمتهنون صياغة الذهب باليمن حدثه قال:

"نهر السبت في أرض يقال لها صهيون[3] والأصح أنه في الحجاز وهو نهر رمل سيال يجري من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت لم يقدر الإنسان أن يعبره من شدة جريانه في ذلك اليوم ويسكن باقي الأسبوع. ووراء هذا النهر من اليهود مائه ألف ألف رجل وامرأة، وهم

---

1 – إسماعيل بن على الأكوع / نفس المصدر ص 269

2 – يذكر الهمداني أن قرية أصحاب السبت هي نفسها التي تسمى قرية آيلة الإكليل ج1 ص 138

3 – صيون نفسها صهيون، لغتان. حسب اللهجات اليمنية وقد جاء ذكر صهيون في شعر الأعشى. وإذا. تأكدت رواية ابن المجاور. هذه فإنه لا علاقة لأرض فلسطين بمنطقة صهيون الوهمية التي يتشبث بها الصهاينة زورا.

يزيدون على العد خارجون عن الحد، والقوم عرب يعقدون القاف الألف في لغتهم، وفي جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام. ويقال إنما حصلوا هؤلاء اليهود في هذه الأرض والأعمال إلا من غزوة بخت نصر البابلي لليهود بأرض الشام وديار مصر والأصح لإظهار الله عز وجل محمداً فخرجوا هاربين من خيبر ووادي القرى وسكنوا هذه الأراضي إلى الآن ..."[1]

ثانيا: الشعوب والقبائل المذكورة في القرآن الكريم.

وهي شعوب عديدة وقبائل لا تحصى عددا بعضها مصرح به في القرآن الكريم وبعضها على جهة الإشارة كقوم نوح مثلا.

ولأن الأمر كذلك، فإن مثل هذه الدراسة لا يمكن أن تشملها جميعا، ولذلك رأيت الاكتفاء بالحديث عن طائفتين تردد ذكرهما في القرآن الكريم، والتبس أمرهما على الكثير من الناس، حتى ظنوا أنهما طائفة واحدة (بنو إسرائيل واليهود).

بنو إسرائيل

لا خلاف أن إسرائيل هو اللقب الذي أطلق على نبي الله يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام، وجاء ذكر يعقوب عليه السلام

1- ابن المجاور الدمشقي / المصدر السابق ص 99

في القرآن الكريم بهذا اللقب كذلك "إسرائيل" كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[1].

وجاء في سفر التكوين من التوراة أنه اكتسب هذا الإسم بعد حادثة وقعت له، وقيل لأنه أسري به ليلا، والله أعلم بذلك.

ويعتبر "الأسباط" أبناء يعقوب عليه السلام بداية تكوين عشيرة بني إسرائيل، ثم صاروا في بعد قبيلة بعدما تناسلوا وتكاثروا، وظهر فيهم أنبياء كثر وصلحاء.

وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض حتى فضلهم الله على العالمين. يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ[2]"

الشواهد على عروبة بني إسرائيل

بنو إسرائيل قبيلة عربية، رعوية بدوية عاشت بين الحجاز واليمن. ويرى الكثير من الأئمة والعلماء وفي مقدمتهم "الزهري ت 124 ه الذي صرح في بعض مروياته بأن بني إسرائيل كانوا من أهل تهامة،

---

1 - سورة أل عمران الآية رقم 93

2 - سورة البقرة - أية رقم 47

مثله ابـن المجـاور يوسـف بـن يعقـوب بـن محمـد بـن علـي الشـيباني ت690 هـ في كتابه صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز والمسمى تاريـخ المستبصـر حيـث أشـار في غـير موضـع مـن كتابـه إلى أن بني إسرائيل كانوا من أصول قبائل العرب التي كانت تعيش في تهامة وأنحاء من جبال السراة، فضلا عن مجيء عدد من الأحاديث والآثار والشواهد الأخرى التي تؤكد على قدوم بني إسرائيل إلى مكة للحج، وتدلل على قرب موطنهم من مكة المكرمة"[1].

وإلى وقتنا هذا لازال أثارهم باقية باليمن "وهناك سنجد إسم إسرائيل: محافظة أبين، مديرية لودر، عزلة زاره، قرية قرن آل إسرائيل. كما نجد إسم إسرائيل في مديرية أخرى من نفس المحافظة: مديرية مودية، عزلة مودية، قرية قرنعة آل إسرائيل. وعلى مقربة منها سنجد إسم الملك الإسرائيلي أخاب في محافظة الضالع، مديرية دمت، عزلة الظاهرة، قرية خاب "[2]

ويوجد باليمن قرب صنعاء " بيت سبطان بالسين المهملة وباء موحدة وطاء وألف ونون، وهو ما يسمى اليوم بيت زبطان، بالزاي

---

1 - قشاش أحمد بن سعيد / المرجع السابق ص 289

2 - مبروك محمد أبو زيد / المرجع السابق ج1 ص273

بدلا عن السين لتقارب المخارج ويقع من صنعاء في الجنوب الغربي بمسافة ساعة ونصف"[1]

كما يوجد قبر بوشع عليه السلام وهو أحد قادة بني إسرائيل المبرزين" بين صنعاء وجبل عيبان موضع يقال له بئر الجدرين فيه قبر يوشع بن نون عليه السلام "[2]

لكن اليهود أينما كانوا في العالم وعلى اختلاف أعراقهم وجنسياتهم ادعوا زورا أنهم من نسل بني إسرائيل، ومن نسل الأنبياء، ولذلك كان الواجب بيان أصلهم وتاريخهم ونسبهم، والفرق بينهم وبين بني إسرائيل.

اليهود وأصلهم

ادعت طائفة اليهود قديما أنهم ينتسبون زورا للنبي" هود اليمني الذي مازال قبره في الأحقاف، وهم عشائر يمنية في مرحلة تاريخية"[3] وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[4]

---

1 - الهمداني الحسن بن احمد/ الإكليل ج2 ص 221 الهامش

2 - ينظر الهمداني/ الإكليل ج2 ص86

3 - فرج الله صالح ديب /التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 18

4 سورة البقرة -أية رقم 135

ورجح ابن كثير في نسبه:" عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام[1] " فالذين هادوا من العرب، نسبة للنبي هود ومنه تشتق كلمة يهود حسب القاموس العربي "[2]

ويجمع المفسرون أن "هود" ولد وبعث في حضرموت موطن قبيلة عاد العربية القحطانية: "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ"[3]

وهود عليه السلام:" نبي عربي من قوم عاد الأولى، من سكان الأحقاف شمالي حضرموت، كان يتكلم بالعربية، وكان قومه وثنيين، اتهموه في عقله، فأنذرهم دعاهم إلى الله فكذبوه، وحذرهم غضب الله، وأمسك الله عنهم المطر، ثم أرسلت عليهم ريح استمرت ثمانية أيام، فهلك أكثرهم ونجا هود، ومن أمن معه، فأقام في حضرموت إلى أن توفي"[4]

واليهود لم ينزل عليهم كتاب وإنما ادعوه وانتسبوا إليه، أو بالأحرى اختطفوا الانتساب إليه مثلما اختطفوا لقب بني إسرائيل وانتسبوا إليهم زورا وهم ليسوا منهم بتاتا.

---

1 - ابن كثير إسماعيل بن عمر / البداية والنهاية ج1 ص120

2 - فرج الله صالح ديب/ التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 89

3 - سورة الأحقاف -أية 21.

4االزركلي خير الدين / الأعلام ج8 ص101

والمؤسف أنهم لما اختطفوا الانتساب للتوراة قاموا بتحريفها وتزييف أسفارها وأعادوا كتابتها فزادوا على ما كان في أصلها زيادة فاضحة، وحرفوا مواضع المدن وأماكن الأنبياء وجغرافيتهم.

وهم أسبق الأمم التي سرى إليها داء الحمية والعصبية قبل أن يدب إلى غيرها بقرون، وهو الحامل لهم وراء تحريفهم للتوراة من بعد موسى عليه السلام " فقد سرت هذه الظاهرة تباعا لنجدها عند اليهود حين حرفوا عمدا كتاب التوراة أبان فترة السبي البابلي بين عامي 538/586 ق.م"[1]

ظهور الديانة اليهودية في التاريخ

وعن المواقع التي ظهرت بها اليهودية أول مرة في التاريخ فقيل أنها " بلاد هوذا أو هودى' ' هدى' بضم الهاء وفتح الدال وجغرافيا هدى بطن من همدان. وهمدان أشهر قبائل اليمن ويقول شرف الدين 'وهي من أمنع القبائل الكهلانية وأكثرها عددا، وتحتل رقعة واسعة من اليمن تبدأ من شمال صنعاء وتنتهي بصعدة شمالا، ومن مأرب شرقا إلى البحر الأحمر غربا، وتأخذ قبيلة بكيل القسم الشرقي من هذه

---

1 – ميمون يوسف طعام حفيظة / ميمون يوسف طعام حفيظة / العصبية القبلية في الشعر العربي القديم ميمون/ مجلة أنسنة للبحوث والدراسات– جامعة زيان عاشور 1 الجلفة– سنة 2019 م

الرقعة بينما تأخذ قبيلة حاشد' القسم الغربي"[1] .

وتحـت عنـوان "العـودة إلى الجـذور التاريخيـة لتشـكل الطائفـة اليهوديـة" كتـب دوغـلاس ريـد يقـول: " ومـن هنـاك بالـذات تشـكل وتكون المذهب العرقي على مدى مئات السنين ومن هناك ظهرت كلمة اليهودية والعبرية ومنذ أيامها الأولى تميزت القبيلة اليهودية بمزايا غريبة لقد كانت دائما منعزلة وعلاقتها سيئة مع جيرانها، ويغمر الغموض جذورها وأصلها وفي أسمها الضغين المشِوم يوجد صدى نذيرما..."[2]

ويؤكـد دوغـلاس ريـد علـى الوجـود المسـبق لبـني إسـرائيل علـى عكـس طائفـة اليهـود الـتي تشـكلت لاحقـا اسـتنادا إلى الموسـوعة البريطانية ذاتها " أما الموسوعة البريطانية فتذكر أن اليهودية تشكلت وتكونت بعد فترة طويلة من اندماج الإسرائيليين مع الشعوب الأخرى وأمـا العلاقـة المتبادلـة بـين هـذين الشـعبين يمكـن القـول فقـط لم يكـن الإسرائيليين جزءا مـن العبرانيين، لقـد كـان تاريخ إسرائيل قصير جدا وبعدها اختفى عن المسرح العالمي، أما يهودا فقد استمرت فترة أطول

---

1 - أحمد عيد/ جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة - ص 146 -147

2 - دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية - ص 14

وهي ولدت اليهودية ومن الأخيرة برزت الصهيونية'[1]

واستدل على ذلك بعض الباحثين من خلال تفكيك الأسماء الواردة في التوراة على تحديد مدن وقبائل اليهود قديما يقول أحمد عيد "في الإصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني (وكان بعد ذلك أن داود سال الرب قائلا أأصعد إلى إحدى مدائن يهودا فقال له الرب اصعد فقال داود إلى أين أصعد فقال إلى حبرو) فهذه الآية (التوراتية) تؤكد أن يهودا قبيلة ولها مدائن ومن هنا كان سؤال داود للرب أين اصعد وكان جواب الرب إلى بلاد حبرون، وجغرافيا حبران أيضا بطن من حاشد الهمدانية وبلدة حبران التي تنسب لهم بلدة في حجور حجة شمال غرب صنعاء بمسافة 127 كلم"[2]

لا علاقة لليهود ببني إسرائيل

ويفضح دوغلاس ريد زيف ادعاء اليهود وانتسابهم الزائف إلى بني إسرائيل مذكرا أن الموسوعة العبرية الرسمية نفسها ترفض هذا الادعاء الباطل. الموسوعة العبرية تكذب صراحة هذا الزعم بما يلي: '"هم في الغالب ليسوا قبيلة إسرائيلية"

---

1 دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية – ص16

2 – أحمد عيد / جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة ص 147

مبينا في الوقت نفسه أن هذا الشعب - اليهود اللاويون- وعد أتباعه:" الحصول على أرض الميعاد بالسيطرة على الشعوب الأخرى بشرط تنفيذهم الدقيق لتعاليمه ووصاياه وقد أدخل اللاويون في التعديل النهائي للتعاليم تكرار الطلب بالتدمير الكامل والاقتلاع من الجذور والدمار، وهكذا ترتب على الطائفة اليهودية أن تلد شعبا دوره الوحيد يكمن في التدمير"[1]

إطلاق إسرائيل على أرض فلسطين اغتصاب لاسم الغير

وفي الفصل الثاني وتحت عنوان نهاية بني إسرائيل يقرر دوغلاس ريد: " أطلق إسم إسرائيل على الدولة الصهيونية في فلسطين عام 1948م، وهو ادعاء باطل واغتصاب لاسم الغير "[2]

بينما أنه" قبل نحو 200سنة من الآن جاءت نهاية العلاقة القصيرة الضعيفة بين اليهودية وإسرائيل (أبناء إسرائيل) رفضت المبدأ اليهودي حول الشعب المختار واختارت لنفسها طريقا خاصا بها "[3]

موضحا أن جل الباحثين متفقون مع ما جاء في العهد القديم

1- دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص14

2 - دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص15

3 دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص15

من أن الطائفتين مختلفتين " على أي حال يتفق الباحثون في أيامنا مع الكتابات القديمة على أن إسرائيل ويهودا كانتا قبيلتين منفصلتين تماما، وفي كتاب العهد القديم غالبا ما ذكر في نفس الوقت أن الكهنة هم الآباء الأصليون للصهاينة "وهم زعموا أن الكهنوت عهد إليهم يهوه نفسه على جبل سيناء هؤلاء هم الآباء الأصليون للصهيونية"[1]

عقيدة الصهاينة الإفناء والدمار الشامل

وأن العقيدة الموروثة تاريخيا لدى الصهاينة" يهوه يطلب إفناءا شاملا ودمارا تاما للغرباء، ويتأمل أن ينفذ أمره بحذافيره، والرحمة والشفقة هنا تعد جريمة ثقيلة لا غفران لها "[2]

لا علاقة للصهاينة بشريعة موسى عليه السلام

وفي الفصل من الثالث من الكتاب يقدم الكاتب دوغلاس ريد

نقدا لاذعا لما يسمى بالكتاب المقدس عند اليهود، واصفا إياه بأن لا علاقة له بشريعة موسى إطلاقا، وأنه جدير بأن يسمى شريعة اللاويين أو شريعة اليهود، ولليس شريعة موسى ولا بني إسرائيل أبدا " ولذلك فالإسم الحقيقي لذلك الكتاب يجب أن يكون شريعة

---

1 - دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية ص16

2 - دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية- ص 17

اللاويين أو الشرائع اليهودية، وكتاب التثنية يعني بالنسبة لليهودية والصهيونية كما مثلما يعني كتاب البيان الشيوعي بالنسبة للثورات المدمرة في عصرنا"[1]

اليهود وحكاية السبي البابلي

لعب اليهود –كعادتهم – على أوتار استعطاف العامة، ومن لا يعرفهم جيدا، مستخدمين في ذلك وقائع تم تزييفها وتغليفها وتسويقها عبر قوالب تلمح إلى براءتهم وأنهم تعرضوا للظلم والتعسف والاضطهاد التاريخي، وأنه بسبب ذلك أغتصب أراضيهم بفلسطين.

ومن المسائل التي استخدموها لهذا الغرض، ولربما لتبرير عدوانهم واحتلالهم لأرض فلسطين مسألة السبي البابلي (السبي الأشوري في حقيقته) فقد أخرجوا هذه القضية للرأي العام على أساس أنهم وطردوا وأخرجوا من ديارهم بمنطقة "أورشليم"[2] التي يزعمون أنها القدس– فلسطين.

وأن ما يقومون به من احتلال وظلم واعتداء على شعب فلسطين لم يكن – حسب زعمهم – سوى رجوع إلى وطنهم الأصلي.

---

1 دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية – ص23

2 – القدس ليست أورشليم، وأورشليم ليست القدس.

هذا هو كذبهم وتزويرهم للحقائق التاريخية لتبرير عدوانهم.

والحقيقة أن الحادثة التاريخية التي اصطلح عليها باسم (السبي البابلي) والتي قادها السلطان الأشوري (نبوذخت نصر) وأصبحت مثار جدل وأخذ ورد، إنما تمت باليمن عقابا لليهود على قتلهم نبي الله شعيب بن مهدم الذي يقال له" شعيب حضور" نسبة لجبل حضور قرب صنعاء، وهو متأخر عن شعيب أخا مدين، وأن اليهود الذين غزاهم بختنصر هم عرب من قبيلتي خولان وهمدان، وأن الذي طلب من بختنصر معاقبة اليهود هو واحد من بني إسرائيل (أحد أحفاد السبط يهودا).

يقول الهمداني بعد ما ذكر الخلاف في هذه المسألة "والصحيح ما جاء عن ابن عباس رحمه الله أنه كان يقول نزلت هذه الآية في أهل حضور وعربايا فبعث الله إليهم شعيبا بن مهدم بن ذي مهدم فكذبوه وقتلوه"[1]

وقد ذكر الهمداني الآيات التي نزلت في حادثة سبي اليهود باليمن بناءا على تفسير ابن عباس:" وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا

---

1 - الهمداني /الإكليل ج2 ص221

يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُون قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ"[1] " إذا الآيات تتحدث عن قتل عشائر خولان اليمنية للنبي شعيب ثم غزوة نبوخذ إلى اليمن"[2]

وتحت عنوان باب غزو بختنصر للعرب – يقول الإمام الطبري في تاريخه "وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار عربة إلى حضور فخندق الفريقان وضرب بختنصر كمينا وذلك أول كمين كان فيما زعم،، ثم ناد مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر ونهى بختنصر عن عدنان وافترق من لم يشهد حضور ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك وفرقة قصدت لوبار وفرقة حضر العرب قال وإياهم عنى الله بقوله (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) كافرة الأهل فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم في آخر وقعة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الهرب فلما أحسوا بأسنا انتقمنا منهم إذا هم منها يركضون يهربون قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن

1 – سورة الأنبياء– الآيات من 11 إلى 15

2 – فرج الله صالح ديب/ التوراة العربية وأورشليم اليمنية ص 32

خلفهم لا تركضوا لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه إلى العيشة على النعم المكفورة ومساكنكم مصيركم لعلكم تسألون فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب فقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (موتى وقتلى بالسيف) فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربة فألقاهم بالأنبار فقيل أنبار العرب وبذلك سميت الأنبار وخالطهم بعد ذلك النبط فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها فحج وحج الأنبياء معه، ثم خرج معد حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها وسأل عمن بقى من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي وهو الذي قاتل دوس العتق فأفنى أكثر جرهم على يديه، فقيل له بقى جرشم بن جلهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد، رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب أن بشتاسب بن كي لهراسب"[1]

---

1 - الطبري ابن جرير / تاريخ الرسل والرسالات ج1 ص328

ويدعم ياقوت الحموي رأي الطبري نقلا عن أصحاب السير أن هذا السبي قد وقع فعلا بأرض اليمن وليس بفلسطين:" قال أهل السير : لما أخرجت اليهود من البيت المقدس[1] في أيام بختنصر وسيقوا إلى العراق حملوا معهم من تراب البيت المقدس ومن ماءه، فكانوا لا ينزلون منزلا ولا يدخلون مدينة إلا وزنوا ماءها وترابها، ومازالوا كذلك حتى دخلوا أصبهان، فنزلوا بموضع يقال له بنجار وهي كلمة عبرانية معناها أنزلوا،، فنزلوا ووزنوا الماء والطين الذي في ذلك الموضع فكان مثل الذي معهم من تراب البيت المقدس ومائة، فعنده اطمأنوا وأخذوا في العمارات والأبنية وتوالدوا وتناسلوا وسمي المكان بعد ذلك باليهودية"[2]

الثراء اللغوي بجزيرة العرب

عرفت الجزيرة العربية لهجات مختلفة، أطلق عليها توسعا إسم "لغات"، وكان بعض هذه اللهجات بسهول تهامة، وجبال السراة بعسير، وأكثرها في مناطق عديدة من اليمن، وظفار، وحضرموت،

---

1 - البيت المقدس لا يوجد باليمن، فإذا كان أهل السير يقصدون ماهو مقدس عند اليهود فذلك يعني أورشليم باليمن، أما إذا كان المقصود بالبيت المقدس هو بيت الله الشريف الكعبة المباركة فهذا يعني أنهم لما مروا بمكة أخذوا من ترابها.

2 - ياقوت الحموي /معجم البلدان ج5 ص 453

والجوف، وسقطرى، ولاتزال هذه اللهجات قائمة إلى اليوم فمنها الشحرية، ومنها السبئية، ومنها الحميرية، ومنها المهرية، ومنها السريانية ومنها النبطية، والآرامية، وغير ذلك.

ومما يمتاز به كتاب الإكليل للهمداني- وهو لسان اليمن " أنه كشف لنا عن بعض لغات حمير ولهجاتها، وما جاء في بعض مساندها، وهي قطرة من مطرة، وأنها لا تخرج عن لهجة اللغة العربية المعروفة المتداولة، والتي ضمنتها معاجم اللغة، إلا بتصرف يسير، لبعد العهد بها، وثقل اللسان عن النطق بها، أو لإغفالها وعدم تدوينها في معاجم اللغة، لاقتصار أئمة اللغة على تدوين عرب الشمال فحسب، لما كانت الدولة الأموية والعباسية لمرأى منه ومسمع منهم، فأصبحت بعض لغة العرب اليمن، التي هي منبع اللغة العربية، من اللغات المهجورة أو الميتة"[1]

نصوص من اللهجات الحميرية اليمنية القديمة

ومن الأمثلة التي ساقها الهمداني كشواهد على مدى الثراء والتنوع اللغوي الذي عرفه المجتمع اليمني على وجه الخصوص، ما وجد في دواوين أحد ملوك اليمن (كريب ذي مأرب) إلى والي منطقة تهامة

---

1 - إسماعيل بن علي الأكوع / مقدمة كتاب الإكليل للهمداني ج2

قديما " من كريب ذي مأذنم، إلى تهامة وطودم، حي هلم، وحضائم بألفي جعيرم، ن ومأتي راكبتم، ذرحم لنحم، يوم خموسم حي هلم وحضائم، أي من كريب إلى ساكني تهامة وطودها، أن أتوني يوم الخميس الأدنى حتما محتوما بألفي خشبة ومأتي راكبة ذرح كلها، والذرح عود نفيس"[1]

وفي نص أخر:" أوسلة رفشان، وبنوه بنو همدان، حي، عثتر يطاع ويارم أقوال شعبين سعى سلبان دحاشدموبأهبم تألب ريام. أي ملكوا بأبيهم تألب عن بتع الملك شعبين مختلفين من حمير وهمدان دع حاشد. والتسلبي التجمع والمسلبي اجملمّع بلغة حمير. أي قالوا على الجميع كنف حاشد فأولد ريام أنكف وشرح وأروع ويقال لهؤلاء الثلاثة ملوك شهران، وهم أخوال الحارث الرائش، أمه سلوب غبنة ريام وأمها وردة بنت حاشد ذي مرع بن أيمن بن علهان"[2]

منها أيضا "قال الأوساني: بضهر (وادي ضهر) مسند فيه بالحميرية: شرت أنهجور ميفعة أهلها ومعدية الكور"[3]

---

1 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج2 ص 264

2 - الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج 10ص37

3 - الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج2 ص57

وفي أمثال الحميري دوهل قيلا ذي دوجر غيلا " أي ليس بملك من لم يقدر على فتق العيون، وجر الغيول"[1]

وفي باب الخبر عن بني عمرو بن همدان باليمن بعض لهجاتهم المستعملة قديما: "قال البلخي :قال الحميري في كلام الحميرية وذكر خبر الأنواء: أقسمن أنجوم أبربع، ذو تغيب لو يرى سد بتع، ما بين حاز وبيت دفع ذو بمعنى لا، ولو بمعنى حتى. ذكره الحسن في التاسع من الإكليل. أي أقسمت الكواكب الأربعة وهي الصواب لا تغيب صلاة الغداة حتى يشرب سد بتع من الغيث بآذار، هذا على حد العاد"[2]

رسم المصحف الشريف تضمن لسان اليمن القديم

يقول الهمداني "علهن ونهفن، ابنا بتع بن همدان صحح حصن وقصر حدقان بن زيد يبن بنينا. كذلك يكتبون بحذف الألف إذا وقعت في وسط الحروف، وقفاهم المسلمون في كتابة المصاحف فطرحوا ألف الرحمن وألف الإنسن وألف السماوات وكذلك علهن منقوص من علهان ونهفن منقوص من نهفان وهمدن من همدان وبنين

1 - الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج2 ص 263

2- الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج10ص35

من بنيان. هذا ما تؤديه أحرف الكتاب وإياها حكى الأوساني فأما اللفظ فعلى التمام. وكذلك يحذفون الواو الساكنة من وسط الحروف مثل مبعوث، والياء الساكنة مثل شمليل، والألف الساكنة في مثل هلال وبلال وأميال"[1]

أسباب ظهور هذه اللهجات قديما باليمن

يقول الهمداني: "وقال آخرون كان أول من أحدث هذه اللغة حمير الأكبر بينه وبين خصائصه، ليخص به أسرار الملك وليدور بينه وبين مؤازريه من الكلام مالم تفهمه العامة"[2]

انتقال اللهجة الحميرية اليمنية إلى مصر وإفريقيا

ويقول عن لغة حمير بن غوث التي كانت باليمن هي التي انتقلت في وقت مضى إلى مصر وإفريقيا[3]

لقاء وفد المغاربة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ومن أوثق الأدلة التي يمكن عرضها في باب التواصل القديم والمستمر بين المشرق والمغرب، وإن كان هذه المرة بدوافع دينية بحتة،

---

1 - الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج10ص38

2 - الهمداني الحسن بن أحمد / الإكليل ج2 ص 193

3 الهمداني الحسن بن أحمد/ الإكليل ج1 ص 193

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن وفدا من المغاربة سافروا إلى أرض الحجاز لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وافقوه في إحدى غزواته التي كانت بعد فتح مكة المكرمة، وقد شهد هذا اللقاء بعض أفاضل الصحابة الكرام منهم نافع بن عتبة وجابر بن عبد الله، وسمعوا الحوار الذي دار بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، دون طلب ترجمان بينهم، وهو دليل أخر على عروبة لسانهم.

يقول الصحابي نافع بن عتبة راوي الحديث :"كنَّا مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةٍ، قالَ: فأتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِن قِبَلِ المَغْرِبِ، عليهم ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فإنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قالَ: فَقالَتْ لي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بيْنَهُمْ وبيْنَهُ؛ لا يَغْتَالُونَهُ، قالَ: ثُمَّ قُلتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ معهُمْ، فأتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بيْنَهُمْ وبيْنَهُ، قالَ: فَحَفِظْتُ منه أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ في يَدِي، قالَ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ. قالَ: فَقالَ نَافِعٌ: يا جَابِرُ، لا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ"[1]

ويروي ابن خلدون قصة إسلام صولات بن وزمار زعيم قبيلة

---

1 - صحيح مسلم حديث رقم 2900- كتاب الفتن.

مغـراوة الـتي كانـت لهـا السـيادة علـى المغـرب الأوسـط(الجزائر) زمـن الخلافـة الراشـدة أنـه وفـد علـى عثمـان بـن عفـان بالمدينـة المنـورة أثنـاء خلافته وأعلن إسلامه هناك، ورجع مسرورا إلى قومه بالجزائر وأعلن تبعا لذلك جميع أحياء مغراوة إسلامهم زمن الخلافة الراشدة وصار صولات بن وزمار عاملا لعثمان بن عفان(واليا) على أهل المغرب، وبعد انقضاء زمـن الخلفـاء الراشـدين، أعطـوا ولاءهـم للقرشـيين (مضـر)،في إشـارة منه إلى بيعة عبد الله بن الزبير بن العوام بمكة المكرمة بعد وفاة معاوية :

" وهـاجر أمـيرهم صـولات بـن وزمـار إلى المدينـة، ووفـد علـى أمـير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فلقاه برّا وقبولا لهجرته، **وعقد له على قومه ووطنه**. وانصرف إلى بلاده محبورا مغتبطا بالدين **مظاهرا لقبائل مضر**، فلم يزل هذا دأبه. وقيل إنه تقبّض عليه أسيرا لأوّل الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فأشخصوه إلى عثمان لمكانه من قومه فمنّ عليه وأسلم فحسن إسلامه، وعقد له على عمله فـاختصّ صـولات هـذا وسـائر الأحيـاء مـن مغـراوة **بـولاء عثمـان** وأهل بيته من بني أمية، وكانوا خاصة لهم دون قريش"[1]

وإذا صحت رواية ابن خلدون هذه، فهل نجد أنفسنا أمام فرضية

---

1 – ابن خلدون عبد الرحمان /التاريخ – ج7 ص 24

جديدة تطرح احتمال اعتناق المغاربة الإسلام طواعية قبل الفتح الإسلامي بعشرات السنين؟ قد تصل إلى زمن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو على الأقل زمن الخلفاء الراشدين؟ وفي حالة ثبوت هذه الفرضية، هل كان المغاربة يتابعون عن كثب ما جرى من وقائع في زمن عبد الله ابن الزبير؟

تشابه المدن والقبائل بين جزيرة العرب والمغاربة

01: نماذج من تشابه المدن والقرى

أ–البونة – البون: تردد ذكر "البون" و"البونة " في عدة مواضع من كتاب الإكليل للهمداني وكلها أقاليم ومدن باليمن لعلها اشتهرت بزراعة البون هناك[1]

كما جاء ذكر: بون،و بونة، و بونان في معجم البلدان للحموي ومعجم البكري وكتابي الهمداني وقال عن واحدة منها أنها البئر المعطلة والقصر المشيد المذكوران في الكتاب العزيز.

ب – الشلف: "عزلة شلف هي إحدى عزل مديرية العدين في محافظة إب اليمنية"[2]

---

1 - أنظر مثلا الإكليل ج 1 ص 199

2- موسوعة عريق الإلكترونية على الرابط التالي https://areq.net/m/

ج–المدية: قرية مِدية وهي في أعلى وادي ظبأ[1] التاريخي الشهير في الشمال الشرقي من مديرية ذي السفال محافظة إب باليمن.

د–الدار البيضاء:" وهو مقر ضخم تهدم معظمه وسمي بالبيضاء نسبة البيضاء بنت شمر يهرعش[2]"[3] بمحافظة إب من الجمهورية اليمنية

هـ– المسيلة: مديرية المسيلة إحدى مديريات محافظة المهرة في أقصى شرق اليمن

وتوجد أيضا قرية باسم المسيلة في عزلة تريم الأثرية التاريخية بمحافظة حضرموت[4]

و– سعيدة: قرية تابعة لعزلة القارة، وعزلة القارة هي إحدى عزل مديرية جبل الشرق في محافظة ذمار اليمنية.

ي– صبرة: هي إحدى قرى عزلة بني مسلم[5]بمديرية القفر التابعة لمحافظة إب بالجمهورية اليمنية.

---

1 – وادي ظبأ أو وادي الضباء أشهر الأودية التاريخية باليمن. وكذلك ذي السفال.

2 – شمر يرعش من أشهر الملوك التبابعة باليمن قديما، وقد شملت غزواته العديد من الأقطار.

3 – المركز الوطني للمعلومات– اليمن وزارة الثقافة اليمنية موقع إلكتروني على النت.

4 – موقع المعرفة الإلكتروني على الرابط التالي: https://www.marefa.org

5 – بني مسلم من أشهر القبائل العربية باليمن، وتوجد قبيلة أيضا بهذا الإسم في بلاد المغرب العربي.

02: نماذج من تشابه القبائل والعشائر:

يأتي هذا المبحث استكمالا لما ذكرته في كتابي السابق[1]، إذ أشرت إلى وجود هجرات مشرقية قديمة وقدمت على ذلك شهادات وأراء لمؤرخين عرب ومسلمين وباحثين مستشرقين، وذكرت الأسباب الدافعة لتلك الهجرات بما لا يدعو إلى إعادة ذكرها، وإنما كان الغرض وراء هذه الإضافة أمران:

أحدهما: تصويب منبع الهجرات العربية القديمة، فقد ذكرت سابقا بأنها كانت من أرض بلاد الشام، وفلسطين على وجه الخصوص، إلا أنه تبين بعد مواصلة البحث أن منطلق هجرة تلك القبائل النازحة إلى الشمال الإفريقي هو أرض الجزيرة العربية تحديدا الحجاز واليمن.

والغرض الثاني: يتمثل في إضافة أسماء بعض القبائل التي يعتقد أنها هاجرت من هناك، بالإضافة إلى تشابه في أسماء بعض المدن والقرى بين ماهو موجود في الجزيرة العربية وبين ماهو ببلاد المغربي العربي.

فمن القبائل المهاجرة من أرض اليمن إلى بلدان المغرب العربي

---

1 - إطلالة جديدة على تاريخ الجزائر القديم (قراءة في الأصول -الحوادث- المصطلحات الأسماء) دار الأصول – سيدي بلعباس -2021م

"يقول الهمداني عن قبائل البربر انتقلت من اليمن إلى الشمال الإفريقي بأنهم أحفاد مرة بن عبد شمس بن جشم الحميري اليمني: ": كتامة وعهامة وصنهاجة وزنيت وهو زناتة وهم رؤساء البربر، نقلوا مع سيدهم قنيع بن يزيد، يوم أشخصه أفريقيش إلى إفريقية، وصرف المنتاب عنها"[1]

ويضيف محقق الكتاب القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في الهامش تعقيبا على كلام الهمداني "ومنهم بنو بلكين (بولوغين)الملوك الحميريين وكذلك الملوك الملثمون راجع ابن الأثير وابن خلكان وابن خلدون"[2].

وعن قبيلة غمرة يقول إسماعيل بن علي الأكوع أنها كانت ولا تزال جنوب صعدة باليمن.

ويذكر ابن الأثير أن من أثار حرب يوشع بن نون أنه تم إجلاء بعض القبائل العربية من هناك إلى إفرقية "وأما من بقي من الجبارين فإن إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مال بهم متوجهاً إلى إفريقية

---

1 - الهمداني / الإكليل ج2 ص 93

2 - الهمداني/ الإكليل ج2 ص 93 الهامش

فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم إياها، فهم البرابرة، وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم"[1]

بنو شاوي (اليمن): وفي حديثه عن قبائل اليمن القديمة، يشير الهمداني إلى أن **"بني شاوي"** قبيلة عربية يرجع نسبها إلى عبس فيقول: **"بنو شاوي** بن الأسوق الخولاني **"**[2]

بنو شقران: ومن القبائل العربية المشتركة الإسم بين المشرق والمغرب **"بني شقران"**، و"شُقْران: بطن من الصّبر، من غسان، من القحطانية، وهم: **بنو شقران** ابن عمرو بن صريم بن حارثة بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد"[3]

بنو وهران: ويشير جواد علي إلى أن قبيلة **"بني وهران"** من ضمن قبائل سبأ الأولى بناءا على نقش النصر الذي عثر عليه باليمن "وكان بنو وهرن **(بنو وهران)** من أتباع مرثد كذلك، وقد صرح بذلك

---

1 - ابن الأثير عز الدين / المصدر السابق، وابن الأثير يقصد إجلائهم من فلسطين، بينما قد تم إجلاؤهم في الواقع من أرض الحجاز ومن اليمن أيضا كما سبق وأن بينا ذلك.

2 - الهمداني /الإكليل ج1 ص304

3 - عمر رضا كحالة/ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج2 ص 600

أحدهم في كتابة قدمها إلى المقة ذي هران"[1]

بنو بهلول: قبيلة يمنية لاتزال إلى قائمة إلى اليوم وموجودة بالجهة الجنوبية الشرقية لمدينة صنعاء عاصمة اليمن.

بنو هني: قبيلة عربية يمنية موجودة في مديرية وشحةَ –حجة"[2]

قبائل شنوة (شنوؤة) الأزدية الأصل الحجازية الموطن والإقامة، وقد جاء في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم تلميحا بالثناء عليهم، وذكر النبي أن موسى عليه السلام يشبههم في الملامح.

المور: وينسب أهالي "**المور**" أو "الموريون" إلى "وادي مور" العظيم بسهول تهامة باليمن.

بنو راشد: قبيلة أيضا قبيلة بأرض مدين التي بالحجاز[3]

ومن الوديان الشهيرة بجزيرة العرب وادي إيساف (واد إيسوف) "إسم وادي ينحدر من الغبيب ويسيل في وادي اللجام ثم في تثليث شمال مركز الأمواه ببادية الحباب"[4]

---

1 - جواد علي / المرجع السابق ج 4ص 45

2 - المقحفي إبراهيم/ المرجع السابق ج2 ص 892

3 -هاري سانت جون فيلبي/ المرجع السابق ج1 ص 36

4- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير ج1 ص190

ومن من القرى قرية شنين بمنطقة عسير بالحجاز وقرية (لاربعا) بعرفة التي دفنت بها السيدة سارة كما رأينا سابقا، وقرية (إيزقن) كذلك بالحجاز.

"أيلة سلسلة جبلية تقع شمال نجد المصبح وجنوب جبل الأخشانا شرقي محافظة تثليث"[1]

وهذه النماذج من المدن والقرى والقبائل على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، لكثرتها.

وفي بيان السر في تشابه هذه الأسماء بين اليمن والحجاز وبين ما هو في بلاد المغرب العربي، أن تلك الشعوب والقبائل حينما تنقلت من هناك حملت معها نفس الأسماء وأطلقتها على مدن وقرى وتضاريس ببلاد المغرب العربي، حسب رأي الر حالة الألماني هانريش فون مايتسان[2]

---

1 - المعجم الجغرافي عسير/ ج1 ص 190

2 - هانريش فون مالتسان / ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا- ترجمة وتقديم د. ابو العيد دودو - ج2 - دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط.1—2008م- ص105

الخاتمـــة

في الأخير، يمكن القول أنه قد تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وصار من المؤكد أن جزيرة العرب (اليمن والحجاز على الخصوص) هي أرض كل الرسل والرسالات، وقد تبين صدق الفرضيات التي سبق طرحها في إشكالية البحث في مقدمة هذه الدراسة، لما رأينا من قوة الأدلة وتزاحم الحجج والبراهين، ومع هذا فلست أدعي احتكار الحقيقة كلها، بقدر ما كان الغرض إبداء وجهة نظر أضحت لدي — وبعد الذي رأينا- قناعة راسخة من أن جميع رسل الله الذين قصهم الله علينا ذلك هو لسانهم وتلك هي لغتهم المحكية عنهم، وعن أقوامهم العرب في القرآن الكريم، ولا يمكن القول بأن القرآن الكريم قد ترجم عن الأنبياء ولا عن أقوامهم سواء من المؤيدين أو من المعارضين .

وأن الروايات التقليدية الشائعة لجغرافية الأنبياء الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم، والتي كنا نعتقدها مسلمات صارت في حاجة إلى مراجعة وتمحيص، ذلك أن دعوة نوح عليه السلام لم تكن - كما اعتقد الناس- في بلاد الرافدين، وأن إبراهيم عليه السلام قد عاش ومات في مكة المكرمة، ولم يخرج عنها، وأن يوسف وموسى عليهما السلام قد دخلا مدينة مصر العربية، وليس مصر التي نعرفها اليوم. ومن نتائج البحث والدراسة أيضا أن تشويها ممنهجا من طرف اليهود قد طال تاريخ المجتمع العربي القديم الذي يعتبر الرسل والأنبياء جزءا منه.

وقد تأكد بما لا يدع مجالا للشك، أن عروبة الأنبياء لا غبار عليها، وأن موطنهم الجزيرة العربية لا ريب فيه، وأن اليهود –بذرة الصهاينة ونواتهم الأولى – هم السبب في تشويه معالم التاريخ وطمس الحقائق، وأن بني إسرائيل ليسوا هم اليهود إطلاقا، كما أن اليهود الذين ادعوا زورا انتسابهم لبني إسرائيل لا تربطهم في الحقيقة بهم أية رابطة، وأن اليهود ظلوا معارضين– عبر التاريخ – لجميع دعوات الرسل والأنبياء، ولأجل ذلك كانت لهم حروب دائمة وطويلة مع بني إسرائيل قديما، ومع جميع الرسل والأنبياء.

وأن الصهاينة هم رأس كل شر في الدنيا، كما أن الفكر الصهيوني والاستشراق اللاهوتي ومن دار في فلكهم هم سبب ظهور تلك الأغاليط التي شوهت تاريخ الأنبياء والتاريخ الحقيقي للجزيرة العربية، اعتبارا من أنها هي المسرح الفعلي لأحداث الرسل والأنبياء ليس إلا.

وأن أهداف الفكر الصهيوني من وراء ذلك التشويه والطمس التاريخي هي أهداف استعمارية ترمي إلى احتلال أرض وتمزيق أمة، وهيهات أن يتأتى لهم ذلك، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يقيض من يتصدى لمؤامراتهم الدنيئة في كل عصر رجالا في الميدان ورجالا على مستوى الفكر والقلم.

وأن سبب وقوع الكثير في أوهام وأغاليط الاستشراق اللاهوتي هو تصديق الأخبار والراويات الآتية من اليهود، ببراءة وعفوية دون النظر

والتدقيق والتحري فيما يقرؤون أو فيما يسمعون.

وأما عن فضائل أمتنا العربية المجيدة فهي أشهر من نار على علم وحري أن يقال لمن عمي بصره عليها:

إنـــك إن لم تـــر الهــــلال فســلم لأناس رأوه بالأبصــار

ويكفيها فخرا وشرفا أن حافظت على أروع صور مناسك الحج والاعتمار من لدن إبراهيم الخليل إلى يوم الناس هذا.

وإن المبالغة في عد مثالب العرب في الجاهلية، مع الإضراب عما كان فيهم من خصال حميدة، ثم السكوت عما كان عند غيرهم من الأمم من قبح الفعال، ينم عن أمر مبيت لا محالة، وأنه لا ريب إجحاف في حق أمة كانت تسوسها أنبياؤها، ومن المؤكد أن مثل تلك النظرات السلبية الخاطئة، التي سجلت على العرب بقصد أو بغير قصد، قد حملت في طياتها مغالطات كثيرة ترمي إلى الطعن في هويتهم.

وأن الذين سعوا إلى النيل من شرف الأمة والمساس بهويتها العريقة، قد هموا بما لم ينالوا، ومن حكم الله الأبدية: أن الباطل سيظل زهوقا، مهما زوقوه ونمقوه، ومهما غطوا بغرباله الكثير من الحقائق، ولم يعد شأنهم يخفى على أي عاقل.

وهكذا انتهت خطوط هذه الدراسة، ولم ينته النقاش في مواضيعها الذي سيظل مفتوحا، مع رحابة صدر وسعته لكل إثراء مفيد، وأراء هادفة، ومهما تكن هذه الدراسة فستبقى مجرد جهد

بشري على قدر ما وفقت إليه من بحوث ومصادر، وقد يعتريها من السهو ومن الزلل ما قد يعتري غيرها من الدراسات والبحوث، فإن وفقت فيها، فليس ذلك إلا بفضل الله تعالى وتوفيقه أولا، ثم بفضل من سبقني من الباحثين والدارسين إلى طرق مثل هذه المواضيع ثانيا، ثم لمن شجعني ودفع بي إلى هذه المبادرة.

والله وحده الهادي إلى سبيل الرشاد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب السنة النبوية

1. - رشيد محمد رضا/ تفسير المنار - الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- 1990م
2. ابن الأثير عز الدين / الكامل في التاريخ - دار الكتاب العربي- بيروت – ط1 1997م
3. ابن الديبع عبد الرحمان الشيباني / نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية - دار الفكر - دمشق- ط 1 – سنة 1992م
4. ابن المجاور الدمشقي / تاريخ المستبصر- مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة –سنة 1996م.
5. ابن النجار محمد بن محمود / الدرة الثمينة في أخبار المدينة- مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة- السعودية
6. ابن حبيب البغدادي / المنمق في أخبار قريش - عالم الكتب- بيروت - 1985 م
7. ابن خلدون عبد الرحمان / المقدمة - مؤسسة الرسالة – بيروت سنة 1377هـ.
8. ابن خلدون عبد الرحمان/ ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب

والعجم والبربر ومن صاحبهم من ذوي السلطان الأكبر. المعروف بتاريخ ابن خلدون - دار الفكر – بيروت – سنة 2000 م

9. ابن عاشور محمد الطاهر / تفسير التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر – تونس- 1984م

10. ابن فارس أحمد بن زكرياء /معجم مقاييس اللغة - ت: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر – بيروت - سنة 1979 م

11. ابن كثير إسماعيل بن عمر / تفسير القرآن العظيم - منشورات دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 –سنة 1419هـ

12. ابن كثير إسماعيل بن عمر/البداية والنهاية - دار الفكر - بيروت – سنة 1986 م

13. ابن هشام عبد الملك بن أيوب/ السيرة النبوية. ت. مصطفى السقا - شركة الحلبي - القاهرة- ط2-سنة 1955

14. أبو عبيد عبد الله البكري/ معجم ما استعجم- عالم الكتب- بيروت ط3 - 1403 هـ

15. أحمد أمين/ ضحى الإسلام مكتبة الإسكندرية - مصر 1997م

16. أحمد عيد /جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة - مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر المعادي – مصر- ط1 – سنة 1996م

17. الأزرقي الفاكهي / أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت – ط2 – 1994م

18. الأفغاني سعيد/أسواق العرب في الجاهلية والإسلام - دار الفكر -بيروت -القاهرة- ط 3 – 1974م
19. -اليعقوبي أحمد بن إسحاق/ البلدان- دار الكتب العلمية- بيروت ط1 - 1422هـ
20. جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام -دار الساقي – بيروت ط 4- 2001م
21. جورجي كنعان/ محمد واليهودية -بيسان للنشر والتوزيع – بيروت – ط1 –سنة 1999م
22. دوغلاس ريد/ الجدل حول الصهيونية- ترجمة م. أديب فارس – دار علاء للنشر – دمشق
23. ديوان أمية بن الصلت / المكتبة الأهلية – بيروت – ط1 – سنة 1934 م
24. الذهبي شمس الدين /سير أعلام النبلاء -مؤسسة الرسالة - بيروتسنة 1982م
25. الزركلي خيرالدين بن محمود - الأعلام - دار العلم للملايين- ط 15– 2002 م.
26. الزمخشري محمود بن عمرو جار الله/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي - بيروت – ط3 – سنة 1407 هـ.
27. الطبري محمد ابن جرير/تاريخ الرسل والرسالات - دار التراث

- بيروت- ط2

28. الطبري محمد بن جرير / جامع البيان عن تأويل أي القرآن ت - أحمد محمد شاكر –مؤسسة الرسالة - بيروت -ط 1 – سنة 2000 م

29. عمر بن فهد نجم الدين /إتحاف الورى بأخبار أم القرى - ت. محمد شلتوت جامعة أم القرى – مكة المكرمة - 1988م

30. عمر رضا كحالة- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – دار العلم للملايين – بيروت.

31. فاضل الربيعي/ إبراهيم وسارة والهجرة الوهمية إلى فلسطين – رياض الريس للكتب والنشر – بيروت ط1- 2020م

32. الفراهيدي الخليل بن أحمد / كتاب العين - دار المقتبس - دمشق

33. فرج الله صالح ديب / التوراة العربية وأورشليم اليمنية –دار نوفل للطباعة – بيروت- ط1 - سنة1994م.

34. فرج الله صالح ديب/ اليمن هي الأصل (الجذور العربية للأسماء) – دار الكتاب الحديث- بيروت - ط1 -1988 م.

35. قدوري غانم / محاضرات في علوم القرآن – دار عمار للنشر- مصر- 2003 م

36. القرطبي أبو عبد الله / الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وأي الكتاب- دار الكتب المصرية – القاهرة- ط2 - 1964 م.

37. قشاش أحمد بن سعيد / ألفاظ جغرافية في القرآن والسنة النبوية - دراسة في الدلالة الجغرافية التاريخية- مجلة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة -ملحق العدد 183 الجزء التاسع.

38. كمال الصليبي /التوراة جاءت من جزيرة العرب- مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت - سنة 2007م.

39. مبروك محمد أبو زيد / مصر الأخرى- دار فصلة للنشر - القاهرة - سنة 2022م

40. مرتضى الزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس - وزارة الإرشاد والأنباء –الكويت.

41. المسعودي علي بن الحسين / مروج الذهب ومعادن الجوهر- المكتبة العصرية– بيروت – ط- 1سنة 2005م

42. مقدم رشيدة / العرض التاريخي في القرآن الكريم – خصائصه وسماته الفنية - مذكرة ماجيستير- جامعة وهران سنة 2007/2006 م

43. المقريزي تقي الدين / المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- دار الكتب العلمية – بيروت- ط 1- سنة 1418 م

44. المقمحي إبراهيم/ معجم البلدان والقبائل اليمنية -الجيل الجديد ناشرون – صنعاء - سنة 2011م

45. مهران بيومي / دراسات في تاريخ العرب القديم - دار المعرفة الجامعية– الاسكندرية-ط2 -دون سنة النشر.

46. مهران بيومي /دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب- دار النهضة العربية - بيروت ط 2 - سنة 2015م
47. ميمون يوسف - طعام حفيظة / العصبية القبلية في الشعر العربي القديم -مجلة أنسنة للبحوث والدراسات- جامعة زيان عاشور 1- الجلفة - سنة 2019م
48. نشوان بن سعيد الأندلسي / خلاصة السير الجامعة ملوك حمير وأقيال اليمن- ت علي بن إسماعيل المؤيد- دار العودة-بيروت ط 2- سنة 1978 م
49. هاري سانت جون فيليبي/ أرض مدين تعريب د. يوسف مختار أمين – مكتبة العبيكان– الرياض - ط 1 - 2003 م
50. هانريش فون مالتسان / ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا - ترجمة وتقديم د. أبو العيد دودو - دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع- ط1- الجزائر 2008
51. الهمداني الحسن بن أحمد /الإكليل من أخبار المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم ونسب ولد مالك بن حمير- وزارة الثاقة والسياحة اليمنية – صنعاء – ط2- 2004م
52. الهمداني الحسن بن أحمد/ صفة جزيرة العرب - مطبعة بريل- ليدن-1884 م
53. ياقوت الحموي / معجم البلدان - دار صادر- بيروت- ط2 – 1995م

المواقع الالكترونية[1]

1. https://www.aljazeera.net/news/alquds/ /2016/12/11

2. أ.د. عبد العزيز صالح بن حبتور / فاضل الرُبيعي مفكراً ثورياً يعيد قراءة السرديات اللاهوتية حول تاريخ الحضارة السبئية الحِمْيَرية اليمنية/ صحيفة رأي اليوم/ صنعاء https://www.raialyoum.com/

3. المواقع التاريخية في مكة المكرمة / جريدة الشرق الأوسط 03 صفر 1434 الموافق لـ 17 ديسمبر 2012 عدد 12438

4. جمعية مراكز الإحياء/ تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام مكة المكرمة https://makkah.org.sa/

5. سليمان داود الشويلي/ جغرافية هجرة النبي إبراهيم – بين التوراة والواقع/ مجلة الثقافة الجزائرية الإلكترونية https://thakafamag.com/?p=46993

6. فاضل الربيعي / اختلاق ملوك أورشليم ولغز ملكي صادق - موقع الجزيرة نت.

7. فكري وليد: إيلاف قريش-الاتفاقية التي غيّرت خريطة التاريخ وجزيرة العرب / مجلة رصيف 22- https://raseef22.net/article/117445-

8. المركز الوطني للمعلومات اليمن -وزارة الثقافة اليمنية

https://yemen-nic.info/contents/Brief/images/ibb.pdf
9. موسوعة عريق الإلكترونية /https://areq.net/m
10. موقع الديوان /https://www.aldiwan.net
11. موقع المعرفة الإلكتروني:https://www.marefa.org
12. موقع النخبة .www.alno5ba.com/blog
13. يسري محمد / "كعب الأحبار صاحب النبوءات والمصدر الأول للإسرائيليات" - مجلة رصيف 22 – مجلة إلكترونية على الرابط: https://raseef22.net/article/1074490-

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب:

يستعرض الكاتب وفق دراسة تحليلية وجهات نظر متعلقة بالبيئة الاجتماعية والعقائدية للمجتمعات العربية قبل البعثة النبوية من خلال القرآن الكريم والقصص القرآني على وجه الخصوص.

كما يعرض رؤية جديدة لجغرافية الرسل والأنبياء بشكل مخالف لما هو وارد في النصوص التوراتية والإستشراقية اللاهوتية.

ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة على نمط الاجتهادات المعاصرة الهادفة إلى بعث التراث العربي القديم من منظور القرآن الكريم والسنة والنبوية ثم المصادر العربية القديمة المغمورة في التراث القديم .

كما يحدد الكاتب معالم الفكر الصهيوني القائم على الدمار والخراب والإفناء والذي يختلف جذريا عن بني إسرائيل سواء في العقيدة أو في النسب أو في اللسان واللغة - حسب رأي المؤلف.

بالإضافة إلى تسليط الضوء على أوجه التشابه في الأسماء والمصطلحات القديمة بين مدن وقبائل وتضاريس المشرق العربي والمغرب العربي مما يوحي بالتفاعل الثقافي والحضاري بين الإقليمين المشكلين لجغرافية الأمة العربية.

نبذة عن المؤلف:

الحسين يختار إطار متقاعد، ونشريسي الأصل، مقيم بمدينة مستغانم الجزائرية، متحصل على شهادة ماستر في العلوم الإسلامية بجامعة وهران، قسم التفسير وعلوم القرآن، مهتم بالدراسات المتعلقة بالتراث الوطني والإسلامي، والتاريخ القديم للأمة العربية، ساهم بالعديد من المقالات التاريخية والتراثية والأدبية المنشورة في الصحافة الوطنية والمجلات.



ISBN: 978 9931 832 31 7


بن حمدة للطباعة والنشر
رقم الهاتف: 0662 84 21 93 / 02774 99 57
البريد الالكتروني: benhamda.print@gmail.com